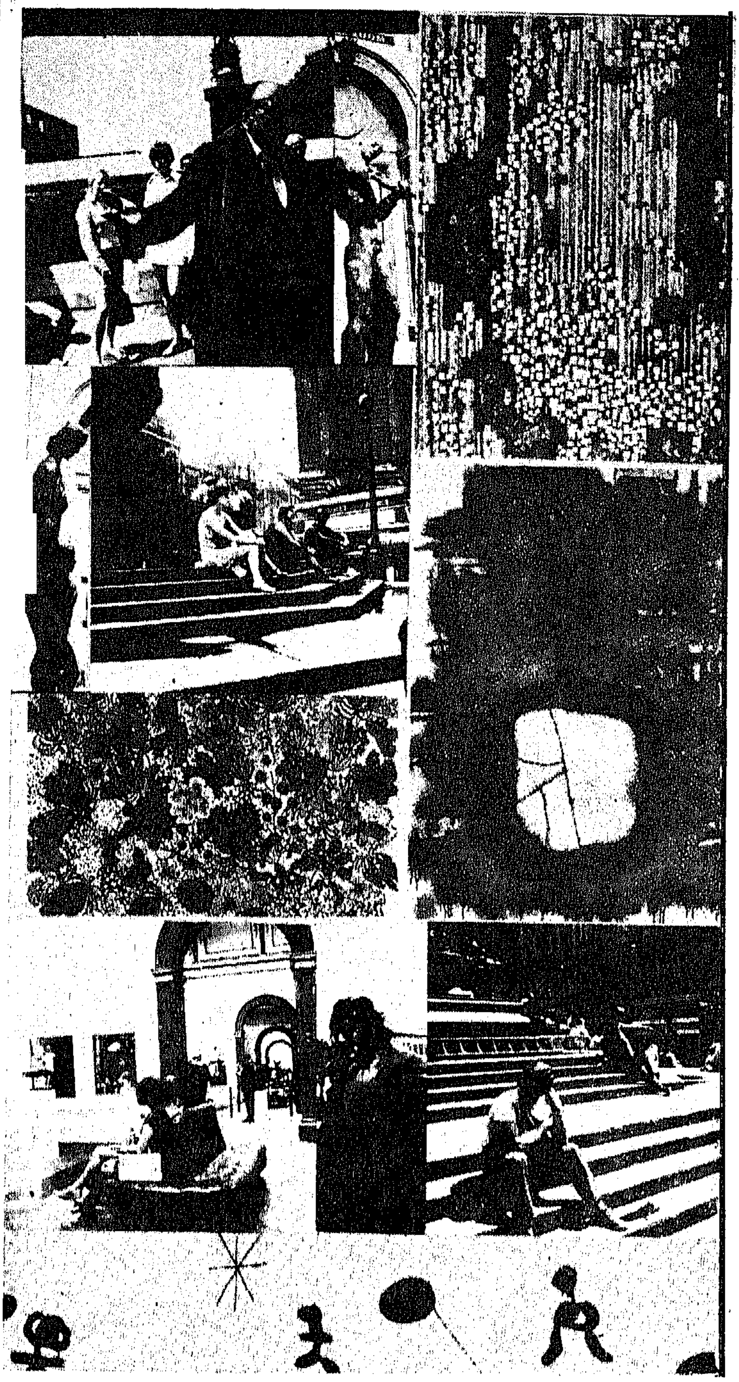
أوروبا.. إلى أين؟!..



يوسف فرنسيس

تقديم:

دكتور سهير القلماوي

مكتبة مدبولي

القاهرة

أوروبا.. إلى أين؟

منذ إن هبطت إلى ميدان بيكاديللي بلندن مذهولاً لما أراه من ظاهرة «الهيبيز» التي اجتاحت أوروبا سنوات.

ومنذ إن كتبت هذا الكتاب إلى اليوم وتغيرت الصورة... وتبدلت... وما كان غريباً وقتها أصبح مألوفاً..

ونترك الصورة كما كانت مرجعاً.. لفترة زمنية غريبة.. قد تفيدنا اليوم في قراءة ما حدث لشباب اليوم.. وما حدث للعالم ونسأل أنفسنا.. إلى أين سارت أوروبا بنفسها.. وبالعالم؟!

مقدمة

أخذنا نستعرض. الفنان يوسف فرنسيس وأنـا. مجموعـات من الصور جمعها هـو من خلال سبـع رحلات إلى بـاريس ولندن لمختلف تجمعات الطلبة في ثورتهم ضد عصرهم وقيمة الزائفـة. لقد زار الفنان أرصفة الشوارع والمسارح والجامعـات والمصحات والمـراسم والمقاهي وحـاذث الشباب وعـرف عنهم ومنهم الشيء الكثير. وأخذنا نستخلص من كل هذا ما يخـدم فكرة الفنـان التي تقدم بها. وهي إعطاء القارىء فكـرة عن ثورة الشبـاب من خلال كلمات قليلة وصور كثيرة بحيث يعرف أهم ظاهرة من ظواهر العصر لا بقصد قبولهـا أو رفضها وإنمـا يقصد معـرفتها ودراستهـا تمهيداً للقبول أو الرفض على أساس من علم. وهذا ما حدا بنا إلى التفكير في إصدار هذا الكتاب.

لقد هزت الدنيا أخبار إضراب الطلاب في جامعة «نانيتز» ثم ثورة طلبة جامعة السوربون في فرنسا التي اتسمت لتحتضن ثـورة العمـال وأصحـاب الحـرف الصغيـرة والعـاملين في الحكـومـة والمؤسسات العامة. وأخذت فرنسا على لسان بعض كتابهـا تفخر

أنها حاملة لواء ثورة جديدة تذكر بمجدها في الثورة الفرنسية آخر القرن الثامن عشر. أنه من معقل الفكر في كلية الآداب في السوربون تخرج صيحة الجيل الجديد في ثورة عارمة على كل شيء. وإذا كانت ثورة المثقفين في الصين سنة ١٩٦٥. وثورة جامعة بكين سنة ١٩٦٦ قد سبقت ثورة فرنسا بنحو عامين فإنها أخذت على أنها ثورة فوقية يرعاها النظام ويباركها الحاكمون بينما ثورة طلاب فرنسا إنما هي ثورة نابعة من روح الشباب وحدهم وهي موجهة ضد كل سلطة فوقية بل رافضة لأية سلطة. مهاجمة لكل نظام سائد. أنها تنادي بهز البنيان الاجتماعي والسياسي والاقتصادي من جذوره في سبيل بنيان جديد في كل شيء.

وعلى الرغم من أني كنت أنظر إلى كل هذا نظرة قلقة مقدرة خطورة الثورة وأصالتها فلقد وجدت في صور الصديق الفنان «يوسف فرنسيس» (وفيما رأيت وسمعت أثناء زيارتي الأخيرة للعاصمتين باريس ولندن) ما يثير القلق الأشد، وما يقنع بأن الأمر إذا أخذ مأخذ لإصلاح أو لكبت فإن العواقب ستكون وخيمة على المجتمع الإنساني كله. ذلك إني تابعت القراءة حول هذه الثورة في كل ما كتب في صحفنا ثم فيما استطعت أن أحصل عليه من أعداد جرائد أو مجلات غربية وفي كل مرة أخرج أشد يقيناً أن ثورة الشباب التي تتفجر هنا وهناك في شكل إضراب طلبة الجامعة ليست مجرد مطالبة بإصلاح شيء هنا أو شيء هناك وإنما هي مطالبة بتغيير جذري في بنيان المجتمع الإنساني كله.

لقد حاول البعض أن يحصروا مطالب طلبة جامعة السوربون في نطاق المطالب الجامعية، فتمرد الطلبة على هذا التحديد. صحيح أنهم يدركون العيوب الجذرية في التعليم الجامعي،



ولكنهم يرون أن هذه العيوب ليست أدواء بعينها وإنما هي أعراض مرض خفي مخيف لا بد من تحديده وإيجاد شفاء له. عندئذ تكون كل هذه العيوب والظواهر غير الصحية مجرد أعراض تزول بزوال الداء الأصلي. ويذكر تحقيق صحفي عن هذه الاضرابات أن مناقشات الطلبة فيها كانت مفتوحة حضرها العمال والعجائز وربات البيوت والأجانب والنواب والكتاب والصحفيون. وكان عدد الحاضرين يقدر أحياناً بخمسة وعشرين ألفاً. أما موضوعات المناقشة فكانت تشمل كل شيء مما يدل على أن الجامعة ليست وحدها بؤرة الفساد في المجتمع الحاضر. لقد كانوا يناقشون في طبيعة العمل الثوري، وفي تحديد النسل، وشكل الحكومة الأمثل، وكيف يمكن التغلب على سلطة الدولة ممثلة في البوليس كما كانوا يتناقشون في حرية ممارسة الحب والجنس، إلى جانب الحرب في فيتنام، والزواج والطلاق إلى جانب دور الجامعات في إعداد الشاب للحياة في مجتمع حي يتطور ويتغير دائماً أبداً متجدداً مع الحياة ومتطلباتها.

والعجيب في حركة الطلاب أنها في الشرق والغرب على السواء موضع إتهام. ففي الشرق يزعمون أن هناك أصابع المخابرات الأمريكية وراءها، وفي الغرب يزعمون أن أصابع الصين الشيوعية تحرك الطلبة، وبصرف النظر عن هذه الاتهامات التي تحتاج إلى دراسة أعمق وأدق لبيان الدافع الأصيل في هذه الحركة، فإن المسلم به أن الحركة لم تخل من عناصر دخيلة عليها. ولا شك أن أحزاباً مثل حزب اليسار الفرنسي أراد أن يركب موجتها فكانت أعتى منه إذ أدخلته مع الرأسمالية في قفص الاتهام. إن اليمين واليسار كما يقول بعض زعماء الطلبة في السوريون مسئول عن أن مليارين من سكان العالم يموتون جوعاً بينما يعيش

مليار في رغد معربد.

وتحذر صحيفة «النيوستيسمان» من الاستكانة إلى القول أن هذا من فعل الشيوعيين لأن الحركة أعمق ويجب أن تعالج بمنتهى الجدية وبغاية الموضوعية.

ويقول فيليب توينبي:

إنه إذا صاح الطلبة أن العـالم لا يحتمل فهم محقـون في قولهم لأن العالم فعلاً أصبح لا يحتمل.

وهناك بعض الزعماء نظروا إلى ثورة الطلبة بعين الانصاف. فقد وصفهم «الرئيس جمال عبد الناصر» بأنهم «أثبتوا وعيهم وعبروا عن أنفسهم ولما أحسوا بمحاولات استغلال حركتهم رفضوا أن يكونوا أداة». أما الرئيس اليوغوسلافي (تيتو) فيقول: «أن ٩٠٪ من الطلبة شباب شريف لم نهتم بهم بالقدر الكافي».

والواقع أن الطلبة في جميع أنحاء العالم وخاصة في البلاد الرأسمالية يحسون بقصور الدولة في حقهم.

إننا على أبواب عصر سيكون التعليم العالي فيه تعليماً عاماً الزامياً، في الوقت القريب. فهو حق للجميع بالمجان في بعض البلاد مثلما هو عندنا والتقدم التكنولوجي يدفع الطلاب إلى الجامعة دفعاً فليس هناك من حياة أو عمل إلا عن طريق إتقان العلم والتكنولوجيا سواء في المعاهد العالية أو في الجامعات. ومعنى هذا أن ظاهرة جامعات الأعداد الوفيرة ستعم ومعنى ذلك مرة أخرى، وخاصة في البلاد النامية التي تحول مواردها دون الكثير من آمالها، القصور في مهمة الجامعة ونقص في المعدات والأجهزة اللازمة للتعليم الجامعي. نقص في الأساتذة، فقر في الخدمات ـ السكن

والطعام الخ ثم فوضى في الأنشطة المكملة. والأهم من ذلك سوء المناهج وتخلفها بسبب عدم فراغ الأساتذة وقتاً كافياً للابتكار والتجديد، وعدم إندماج الجامعة إندماجاً كافياً في المجتمع من حولها بحيث تصبح فعلاً معملاً لتخريج من سيعلمون في مجتمع بعينه له حاجاته ومشكلاته وله أيضاً تحدياته التي لا بد أن يواجهها ويقهرها.

هذا كله سليم وصحيح ولكن ليس من أجل هذا يثور الطلاب. ولقد حاول اتحاد الطلبة التابع للحزب الشيوعي الفرنسي أن يقصر مناقشات الطلبة حول المطالب الجامعية فأفلت من الاتحاد الزمام ولم يستطع الحزب الشيوعي أن يركب الموجة ويقول بعض المعقلين مثل الجنرال «بوفر» أننا لا نجد أنفسنا أمام صراع بين يمين ويسار ولكنه صراع ثلاثي يدخل ضمنه الحزب الشيوعي».

ولكن في الوقت نفسه يحاول الكثيرون أن يفسروا هذه الظاهرة من خلال الشعارات التي يرفعها الطلبة. وهذه الشعارات في الواقع تتخذ أشكالاً شتى فلقد تطوع طلبة الفنون الجميلة لرسم الملصقات المختلفة، أصدروا نشرات أو مجلات صغيرة تجلى فيها فن طلبة الفنون.. والشعارات تلصق على الجدران وفي قاعات السوربون ـ معسكرهم لفترة ـ وعلى جدران مسرح «الأوديون» العتيد على الضفة الأخرى من طريق سان ميشيل. ولقد اكتسى المسرح الصغير العتيق ثوب الشباب الأحمر الثائر، وعلت فيه الهتافات متحدية الالقاء المسرحي الرصين لكلاسيكيات المسرح القديم التي ظلت أكثر من قرنين تدوى في جنباته.

ماذا تقول هذه الشعارات والصور والمجلات والنشرات؟ من

الغصب الإجابة على هذا السؤال، وإن كنا نجد فيها صورة الثائر «شي جيفارا» بارزة وأقوالاً من الثورة الثقافية الصينية بارزة أيضاً. وهذا طبيعي لأن لواء الثورة يحمله الاشتراكيون والشيوعيون على شتى مذاهبهم. إنهم هم الذين لا يزالون يؤمنون بأن الإصلاح فات زمانه وأن العلاج لا يكون إلا في الثورة الثائرة والتغيير الجذري. وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول أن أسلوب الشيوعية هو الذي يراه ويؤمن به الطلاب. ولكن التعاليم أو الإيديولوجية فلهم فيها آراء مختلفة ولكنها كلها تجمع على أنها لم تعد هي الحل للوضع العالمي الجديد.

إن جيفارا باعتباره ثائراً دولياً يفتن الشباب، أن جيفارا لا يؤمن بأن تحرير كوبا من براثن الامبريالية الأمريكية رسالة، وإنما هو جزء من رسالة أهم وأشمل.. رسالة تحرير العالم كله من براثن الاستعمار والاستغلال بكل أشكاله، وعلى ذلك فهو جندي أممي عالمي يحارب التحرير على أي أرض. ومع أي رفاق. هذا الاتجاه الانساني العام في الثورة ودوام الروح الثائرة متأججاً في نفس جيفارا العظيم هو الذي جعله دون غيره أبرز من رفعوا صوره وهتفوا باسمه.

كذلك تفتن بعض هذا الشباب ثورة كوبا وشخصية الدكتور فيدل كاسترو. إن الجزيرة الصغيرة على قربها من أعتى قوة إمبريالية تحارب حربها الباسلة في سبيل الوجود الحي الكريم لابنائها. والتفاف الشعب حول زعيمه وتحمله الحرمان والجهد في جدية ونظام ووعي كل هذا يفتن الشباب الثائر، لأنه يومن أن ثمة ثورة يجب أن تخاض من جديد في سبيل ماذا؟ في سبيل عالم أفضل ولا شك. ولكن ما هي التحديات وكيف السبيل للوصول

إليها؟ هنا تكمن نواحي الضعف الذي جعل الثورة تتخذ مظهرين متباينين: مظهر الرفض بالصمت أو الهروب، ومظهر التحدي بالثورة والصياح والاضراب وسائر مظاهر العنف والتصميم.

إن كثيرين من بين هؤلاء الثائرين ليسوا في الصلابة ولا الصرامة التي يتطلبها الموقف. هؤلاء هم سكان الرصيف كما يسمون. هؤلاء هم هذا الشباب المستهتر الرافض لكل عرف أو تقليد أو نظام. أنه هذه الجحافل التي تتخذ من الرصيف مبيتاً لأنها ترفض المبيت في هذه العلب المنظمة المساة بيوتاً والتي يتحكم فيها جيل سابق لا يحس مشاكل الشباب ولا يعرف عنها إلا خزعبلات التنظيم كما يقولون. ففي الدول الاشتراكية تنظيمات آلية تحيل الشاب إلى ترس في آلة كبيرة لا يعرفن عنها إلا أنها منظمة ودقيقة وهذا سر البقء في نظر الشباب، وفي الدول الرأسمالية أنظمة وأندية وبرامج وجمعيات وكلها، كلها خارج الهامش كما يقولون. إنها في واد والشباب في واد. إنها تحمل الشباب إلى معسكرات الكشافة ليقوم بحركات بهلوانية آلية وينصت إلى موسيقى وكلام وكل شيء منظم مرتب مفروض عليه لا رأي له فيه.

والشباب هنا وهناك يريد أن يحس نفسه، يريد أن يكون هو نفسه لا ما يراد له أن يكون. ماذا بقي له من حرية في هذا العصر الرهيب؟ لا شيء.. إذن فلينتزع حريته إنتزاعاً. إنه ينام حيث يحلو له، ويكسب عيشه بالطريقة التي تعجبه،والعجيب أن بينه وبين جاره تعاطفاً عجيباً. يقتسم طعامه وربما فراشه ويناقش مشكلته والأغلب أن الحديث لا يتناول النفس ولا حتى إرتباط الشخص بالمجتمع من حوله. فلا ذكر للأهل ولا للبيت ولا للمدرسة، ولا لأي شيء. وقد يستمر التجاور أسابيع قبل أن ينطلق أحدهم بالكلام ولا يرد عليه

الجار إلا إذا أراد أن يرد، بل وقتما يريد ذلك. وعندما لا يتصل حبل الحديث فإن الوقت يقضي فيما يعود بالكسب ورسم اللوحات مورد ميسر على الرصيف وصنع الأشياء البسيطة باليد أيضاً مورد والعمل بالساعة هنا وهناك مورد.

وإطلاق الشعر ليس تقليعة، إنه ثورة على النظام، والترتيب، والعرف. وليست الثياب العجيبة أو العري الأعجب أيضاً إلا ثورة على العرف وعلى النظام وفراراً من سلطان الإعلان والدعاية للبضاعة الرتيبة المكررة التي تغرق المصانع بها الأسواق. والعجيب أن هذا الشباب يشذ في لبسه وفي مظهره فتلاحقه بيوت الأزياء لتستوحي منه فكرة زي تجعله الزي المعلن عنه بل الزي المفروض على الناس عن طريق تسويق البضاعة مرة أخرى وينطلق الشباب الثائر على العرف أو النظام فيغني في إنطلاق صاخب أو شكوى ثائرة فتتلقف دور الاسطوانات الموسيقية هذه الأنغام وتذيعها في العالم حتى تعود إلى هؤلاء الشبان على أرصفتهم مدموغة مرة أخرى بالروتين الاعلاني والذيوع الرتيب ومساواة الكل في واحد منتظم يغني هذه الأغنية التي كانت أصلاً إعلاناً على التفرد والفوضى والثورة.

وهكذا تتفاقم مشكلة هؤلاء الشبان ويظلون متحدين، كل شيء متعارف عليه في رفض وعزوف. ومنهم يخرج فريق لا يستطيع لا الثورة الصاخبة ولا العزوف الغاضب فيحاول الهروب من ضيقه بالدنيا وهذا هو الصنف الذي يلجأ إلى المخدرات، وقد تفاقم الخطر إلى الحد الذي جعل بلداً مثل إنجلترا يفرد مستشفى خاصاً لمعالجة المدمنين من الشباب. ولقد زار الفنان يوسف فرنسيس هذا المستشفى وسيقص علينا قصته، ومن أسلوب العلاج

ترك المدمن يكتب مذكراته وهذه المذكرات تحفظ بكل قداسة لأنها سر من أسرار المهنة». ولكن بعضهم يأبى بعد الشفاء ألا تنشر هذه المذكرات. وهي لا شك وثيقة هامة في معرفة ما يشكو منه هؤلاء الشباب.

نعم ممن يشكون؟

هل خاب ظنهم في حرب طاحنة تشن مرتين بزعم تحقيق السلام والرخاء. فإذا العالم مرة أخرى لا سلام فيه ولا رخاء؟ إن الذين عانوا هذه الخيبة واجهوا الأمر بأسلوب مختلف خلال الأعوام العشرين الماضية. إن هؤلاء الشباب لا يمكن أن يحسوا الأمر بحيث يمكن أن يؤثر فيهم بعمق فيدفعهم ذلك إلى ثورة. ذلك أنه يجب أن نذكر بكل وضوح أن الغالبية العظمى منهم ولدوا بعد الحرب الثانية ولم يعرفوا عمها إلا ما نعرف نحن عن التاريخ. والتاريخ لا يحرك الجماعات بهذا المعنى أبداً. أنه يلهم ولكنه لا يقود.

وليس معنى هذا أن مشكلة الحرب والسلام لا تثير هذا الشباب. إنه يدرك في وضوح وقوة معنى حرب عالمية ثالثة. ويدرك في عمق معنى الحرب الذرية. بل أنه يجعل سباق التسلح شراً من أعظم شرور العصر، ويحلل هذا السباق الرهيب بين الدول الكبرى وبقدر ما تخسره الإنسانية من طعام وخدمات ووسائل حياة بسبب الانفاق الجنوني على آلات الحرب، التي يدخل عامل التقدم التكنولوجي عليها أيضاً بالوبال من حيث الانفاق فتتضاعف بلايين مضاعفة.

إن سلاح اليوم الذي يكلف البلايين عاجز أمام سلاح الغد الجديد. ولا بد للتكافؤ من أن يتجدد. وهذه طائرات رقم كذا،

وتلك رقم كذا تلغى سابقتها وهذا صـاروخ قادر على كـذا، وذاك صاروخ متقدم يلغى ما سبق ويجعله العوبة في الحرب، فلا بد إذن من الجديد. وفي حمى ملاحقة الاكتشافات والمخترعات ومزيد من الاتقان وسرعة رد الفعل والدقة في الاستجابة والتنفيذ. كل هذا مع سهولة التعامل مع الاختراع الجديد الـذي يوفر دائمـاً أبداً الجهـد الإنساني والقدرة الانسـانية، في هـذه الحمى تحرق جهـود البشر وتـذهب خيرات الانتـاج والطبيعـة كلهـا هبـاء بـالنسبـة للجـوعى والمرضى والأميين من بلايين البشر.

ويضاف إلى هذه ويتبعه جنون وسبـاق في بحوث الفضـاء. الأصل فيه كان حربياً وتحول إلى أن يكون علمياً، ولكنه دلالة على تفوق تكنولوجي يخشى باستمرار أثره أبان الحروب.

وإذن فالحروب وخطرها باقية كمـا هي لا تهدد، في عصـر هذا الشباب، بقدر ما تستنزف الوجود الانساني وتضعف هيكله.

أما بالنسبة للدول النامية فجدير بالذكر أن الشباب في تفكيره وفلسفتـه في هذه الثـورة لا يفكر مـطلقاً داخـل حدود قـوميات أو أوطان. وإنما هو ينظر للانسانية وللعالم ككل. ومن هنا نجد مثلاً في ثورة طلاب جامعة السويد نظرة تأكيدية على حقوق العالم الثالث في خيرات الدول الرأسمالية والاشتراكية على السواء.

إن خطر الحرب أو الخوف من الحرب أو الدفاع على النفس لايزال يستنـزف القدرات الهـزيلة في هـذه الشعـوب التي اصـطلح على تسميتها بالنامية. والحقيقة عندي أنها ليست نامية لأنها تسعى إلى النماء وإنما هي نـامية بمعنى أن مشكلتهـا الحقيقية هي في تعـذر النماء.

هذه شعوب كانت مستعمرة ثم جاهدت حتى تحررت ثم تعرضت لمختلف الضغوط وكافحت الضغوط السياسية، ومن السهل أن تنتصر فيها، ولكن الهول الأكبر هو في التحدي التكنولوجي، والتكنولوجيا كما سنرى هي أساس وجود الوضع الجديد الذي يثور عليه الشباب.

إنهم يؤمنون بالتكنولوجيا ولكن المشكلة هي في كيفية تسخير التكنولوجيا لخدمة البشر كل البشر، بل هي في كيفية تسخيرها أصلاً.

والهوة تزداد عمقاً والمسافة تتضاعف متزايدة في البعد بين الدول الغنية والفقيرة. ولقد أحسن «يوثانت» السكرتير العام للأمم المتحدة عندما قرر أن التحدي الحقيقي لمنظمة الأمم المتحدة ليس الحروب. وإنما هو إتساع الهوة المتزايدة تزايداً رهيباً بين الدول الفقيرة والدول الغنية. وتقدم التكنولوجيا في البلاد الغنية يجعلها تنتج السلعة بتكلفة أقل بكثير من إنتاجها في الدول النامية فكيف تمكن المنافسة. ويضربون عادة بالمثل بمشروع الكاكاو في غانا عندما بنت حكومة نكروما كل مشروعاتها على زيادة محصول الكاكاو اعتماداً على سعر معين لبيعه دولياً، فإذا الاستعمار يضرب ضربته بطرح النوع الأجود أشد رخصاً مما يحتمله الاقتصاد الغاني الوليد. وتبخرت أحلام النماء في رأس حكومة نكروما فعجل ذلك بالثورة المضادة.

والدول النامية تنفق على الجيش لتصون استقلالها وتحديات الأمبريالية التي لا قرار لحمقها، والدول النامية تنمي إمكانياتها البشرية فتعدو الامبريالية حتى على الثورة البشرية بالاغراءات وعقود العمل وفرص الإنتاج الأوفر وإمكانيات البحث العلمي

الذي لا تحده آفاق الدولة الصغيرة النامية.

وماذا بعد؟ كل هذا يدركه الشباب. فماذا يحدث ذلك في نفسه؟ الثورة على أوضاع دولية تتيح لهذا الظلم أن يستمر وكان الأمل في الدول الاشتراكية ولكنها تنشق وتنشق ثم تجاهد في سبيل ألا تنشق فيستنزف ذلك جهودها، ما السبيل الآن؟ لا بد من أيديولوجية لا تبنى على أساس صراع الطبقات، وإنما أساس صراع الذين لا يملكون سبيلهم إلى التكنولوجيا، والذين يملكون كل السبل إليها وينهلون من خيراتها ولا يريدون أن ينفقوا إلا على التسلح والعدوان. إنهم لا يفلتون من جزاء حق، فشبابهم هم أيضاً ثائرون وشباب جامعات أمريكا لا يلتفون حول رأسماليين أو شيوعيين وإنما هم نصراء الملونين ونصراء إنهاء الحرب في فيتنام، ونصراء مسيرة الفقراء التي تزحف على البيت الأبيض، بيت الرخاء المزعوم، وما هو إلا الرخاء الأناني المعتدي الأجوف. الرخاء الذي يؤدي إلى قتل الزعماء الامبرياليين أنفسهم على قارعة الطريق ثم تطوى الجرائم وكأنها لم تكن، فقاعات من عذابات الضمير وصرخات من قلب مجتمع يعاني آلام التفسخ ومخاض ميلاد جديد في آن واحد.

وأهم ما تمتاز به ثورة الشباب أنها تنظر إلى كل الايديولوجيات، (فيما عدا إيديولوجيات الشرق، لأنها لا تعرفها معرفة سليمة أو كافية) على أنها عاجزة عن أن تحل لها مشكلة العصر. وهي مشكلة التحدي التكنولوجي.

وقديماً واجه الإنسان تحدي الآلة والاختراع العلمي في القرن الثاني عشر فكان ألمه حنيناً إلى الفطرة ورغبة في الفرار من التكلف والزيف فكانت صرخة الرومانسية صرخة التشبث بالفرد

ووجود الذات وتأكيد الإنسان. وهرع الإنسان إلى الطبيعة يجد فيها سلوته ويلتحم بها ليعود إلى الطبيعة والانطلاق الروحيين في دفاع أمام تحدي الآلة، وكانت الثورة الفرنسية ذاتها تأكيداً للفرد وحقه وفكاكاً من سلطان الفرد الطاغية وبطشه. وتأكدت سلطة الشعب متمثلة في ذوات الأفراد والأحرار. ثم كانت الثورة الاشتراكية التي واجهت تحدي القلة للكثرة، تحدي طبقة تملك مالاً حق لها فيه لطبقة اشقى دون أن تملك قوت يومها إلا بالعمل المأجور وبشرط الاستغلال المقيت. وحررت الاشتراكية أو الشيوعية طبقة من طبقة، كما حررت الثورة الفرنسية الفرد من الفرد. وماذا بعد؟ هل يثور الطلاب لتحرير شعب من شعب أو أمة من أمة؟

إن التحدي هو تحدي عصر التكنولوجيا والسؤال العسير هو من ذا الذي سيسيطر على المصير البشري؟ عقل الإنسان أم العقل الألكتروني؟

إن التقدم في مكشفات الالكترونات وأثر ذلك على الميكنة أو «الأتوميشن» وتفجرات الطاقة والتحكم فيها قد جعل السنوات العشر الأخيرة من عمر هؤلاء الشباب تزخر بالاختراع والتقدم بما يعادل ما اكتشفه الانسان منذ وجد على الأرض. والأهم أنها في السنوات الخمس الأخيرة قد تضاعفت والأخطر أنها قد تتضاعف بعد ثلاث. ثم ماذا؟ وإلى أين؟

من ذا الذي سيحكم مسار حياة الإنسان عقله هو، أم العقل الألكتروني؟ إن تنظيم الحزب أو تقنية الاعلان هنا أو هناك هي التي توجه الانسان وجهته، فهل يمارس الانسان الحديث فعلاً حقه في الاختيار حتى في الحياة اليومية العادية؟ هل يختار طعامه؟ ألا يطعم مما توفره له الأجهزة المسئولة، المؤسسات أو حمى

الاعلانات لترويج السلعة، فأين هو إذن؟

إننا نأكل ونلبس ونتنزه ونقرأ وربما نفكر وفق أطر ليست من صنعنا، فأين المفر؟ هكذا يفكر هذا الشباب. العقل الالكتروني يفوق العقل الانساني دقة وسرعة. والتقدم التكنولوجي ليس في اقتناء الآلات. إنها من دون أن يصبح الانسان مثلاً أعلى في الدقة والسرعة كأنها حطام من حديد بال. الإنسان لا بد أن يمرن على ردود فعل سريعة ودقيقة ليكون قد تطور تكنولوجياً. ومن دون الإنسان التكنولوجي لا مجتمع علمياً حديثاً. وبعد زمان قصير لا مجتمع على الإطلاق. كيف السبيل إذن ليصل كل إنسان في أمة بعينها ثم لتصل كل أمة على حدة إلى نفس الدرجة من التقدم التكنولوجي حتى لا تسود شريعة الغاب المجتمع الإنساني.

ثم أي إنقلاب في طبقات المجتمع بعد العقل الالكتروني. طبقات جديدة من العمال المهرة وضالة ضئيلة في العقول الحرة أو المفكرة أو الرؤوس التي تدبر الأمور من عل. دكتاتورية جديدة رهيبة هي دكتاتورية العلماء وهؤلاء أقل قسوة بلا شك من أصحاب رؤوس الأموال أو أصحاب الحول والطول من السلاطين والملوك لأنهم علماء، ولكن أسلحتهم بما لم يسبق له مثيل من الرهبة والخوف رهيبة مخيفة. من ذا الذي سيضطرهم إلى سلام لا حرب؟ شبع جوع؟ مساومة لا استئثار؟ البرلمانات؟ التنظيمات؟ لا يمكن. لا بد من أيديولوجية جديدة ملزمة. لا يكفي الوعظ، لا تكفي الأديان التي يعرفها هؤلاء الشبان لا تكفي الأيديولوجيات مهما بنيت على أسس علمية مدروسة، لقد تغير الوضع كلية والتحدي أفدح من أن نناقش على عتباته أيديولوجيات عتيقة أو أيديولوجيات ثبت عدم جدواها لا بد إذن من تغيير جذري في

تركيب المجتمع الإنساني.

وفي محنة البحث عن هذا التركيب يثور الشباب. لماذا الشباب؟ لأنه لا ينتمي إلى أي إيمان قديم وليست له مصلحة الطبقة. إنه ليس طبقة، إنه بتحرره من ربقة الانتماء ومن شبهة المصلحة أنقى صفحة عكست عليها المشكلة صورتها بكل قوتها. إنهم كالفقراء ولكنهم أشد وعياً... إنهم كالمكافحين الأحرار ضد الامبريالية في كل مكان من العالم الثالث ولكنهم ليسوا مشغولين بمعركة المصير. إنهم شبابا فكروا بعقل الثلث الأخير من القرن العشرين وأحسوا برهبة الاعتاب المفضية إلى آخر هذا القرن المشحون بالأحداث والانفجارات.

إنهم يحسون بشائر الدمار وإنذارات الفناء وجلجلة رعود المستقبل وفي بحثهم عن الخلاص كفروا بكل نظام، وكل قديم. وكل قوالب سبق لها أن صبت لغاية أو لأخرى.

ولئن فاخرت فرنسا بأنها أول من أثار هذه الأسئلة بقوة وشجاعة وذكاء يجعل تجاهلها بعد اليوم أمراً مستحيلاً، فإن الفخر الحق سيكون لمن يستطيع أن يجد الجواب عن هذا السؤال فرداً كان أم شعباً أم شعوباً.

والسؤال بالتحديد هو•

إلى أين يا عصر العقل الالكتروني؟ وإلى أين أيها الشباب؟.

د. سهير القلماوي

الجسد العجوز والقلب الشاب



من ميدان بيكاديللي الصاخب بالأضواء والاعلانات والحركة..

إلى سان ميشيل.. حي المقاهي التي تختلط فيها اللهجات ويتعانق الأبيض مع الأسود... رحلة قطعتها عشرات المرات... أتوقف مرة هنا.. ومرة هناك.. أحاول أن استشف الصلة الغريبة التي تجمع لندن بباريس.

فرغم التناقض الواضح في ملامح البلدين، إلا أن هناك علاقة ما تجمعهما.. ما هي؟

وأطلقت الصحفي بداخلي في أعقاب السؤال... يطارد علامات الاستفهام.. يصور.. ويجمع الكلمات.

وغادر الرسام أعماقي ليجري وراء الصحفي . . يبحث بدوره عن اللون والخط والحركة . . يتابع البشر . . ويسجل علاقاتهم .

وطالت رحلة الكلمات . . وطالت أكثر رحلة الصور والرسوم .

إن لندن وباريس قد يختلفان في الملامح . ولكنهما يكونان معاً جسد أوروبا . . جسداً عجوزاً . . جسد فنان عريق . . منهك بالحروب والسهر الطويل .

جسداً لمسته في السنوات الأخيرة يد ساحرة . . مثل يد الدكتور برنارد الشهير . . نقلت إليه قلباً جديداً فتياً . . متوثباً . . وأحلته مكان القلب العجوز الذي استهلكه الزمن . . وأضنته التجربة والمعاناة .

فتحرك ونبض داخل الجسد العجوز الذي يحاول أن يلفظ أحياناً القلب الدخيل .

فيعاند القلب . . بل ويحرك الجسد العجوز بأحاسيس جديدة . . ويدفع في شرايينه نبضاً جديداً يفور بالدماء الحارة .

ولعل هذا هو السر في التناقض العجيب الذي نراه بين سلوك البشر وأشكالهم العصرية ، وخلفية لندن وباريس المتجهمة الغارقة في ضباب الزمن والرماديات .

إن التناقض بين القلب الشاب والجسد العجوز . . أوجد معه تناقضات هزت أوروبا .

وتركز أثرها في لندن وباريس بشكل واضح .

إن الدماء الجديدة التي تحركت في السنوات الأخيرة مع هذا النبض الجديد امتدت إلى الفن . . فغيرت الوانه . . وإلى الحب فبدلت ملامحه .



أثمرت الدماء الجديدة، حركة، ونشاطاً امتد وتفرع في سرعة مدهشة.. ولكنها أيضاً خلقت الادمان والجنس.. والانحراف.. «والجريمة!.

إنها أقامت الجسد العجوز المنهك، ودفعته إلى الوقوف.. ولكنها دفعت به إلى صالات الرقص.. وعلب الليل.. وسهرات الخنافس.. والسبق المجنون إلى أهداف اللامعقول.

إن القلب الجديد.. يظهر في أكثر من صورة.. وتعلن دقاته عن نفسها.. تحملها آلاف الشرايين والأوردة تمتد في كل دروب الجسد العجوز المتصابي.

ولكن أعلى خفقات هذا القلب الجديد هي بلا شك الشباب.

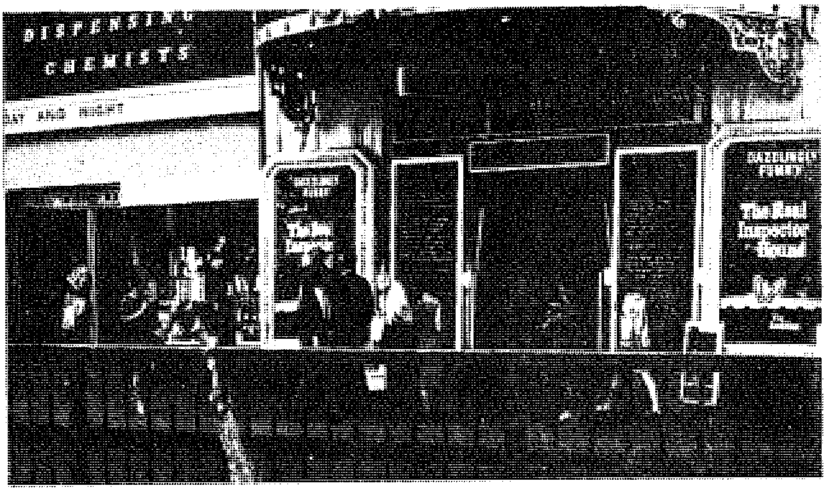
والشباب في أوروبا ظاهرة اجتماعية.. تملأ السمع والبصر والحواس.

فالشباب فيها لون صاخب.. بل أكثر من لون.. ولعله كل الألوان تمتزج وتموج في قوس قزح، يتحرك في الشوارع والميادين، يدخل المدارس، والجامعات.. ويحتل المقاهي ودور السينما.

لم يعد الشباب هناك حقبة من العمر، تتوه في حياة الإنسان وإنما حياة كاملة، تشكل شيئاً خاصاً.. ينفصل عن الزمن.. وعن الإنسان نفسه.

لقد استطاع الشباب أن ينسلخ بنفسه، ينشق من ماضيه.. يختار لنفسه أسلوباً جديداً للحياة ويختار لنفسه شكلاً جديداً يميزه عن باقي البشر.. شكلاً واحداً يتكرر من بلد إلى بلد وكأنه جنس جديد، ولد في العشرين من العمر وفي القرن العشرين من الزمن، الشعر الطويل المسترسل الذي ينسدل على أكتاف الشبان، والملابس التي تخنق الجسد ويتحرك بها الشاب كأنه يرفص الباليه.. وتختلط فيها الألوان في صخب بلا إنسجام متعمد.. هي السمة المميزة للشاب الأوروبي.. والشعر القصير.. والنظارات المستديرة والواسعة التي تملأ الوجه، تتحرك خلفها نظرات جريئة مزودة غالباً برموش صناعية.. ثم الملابس

بيكاديللي . . وجه هادىء وصاخب بالليل .





في بيكاديللي مطبعة صغيرة تصدر صحيفة تستطيع أن تشتري فيها عنوناً مثيراً عن نفسك . . وتزور خبراً عن صعودك إلى القمر . . أو قيامك برحلة إلى المريخ .

الأيام.

والشاب والشابة يكونان معاً لوحه جرئية عنوانها «موجة العصر».

ولقد أنكر الأهل في بادىء الأمر هذه الصبورة ورفضوا تصديق أن هؤلاء الذين يملأون الطرقات همن أبناؤهم وبناتهم.. إنها «مخلوقات» آتية من كوكب آخر.. كوكب مجنون بلا تقاليد ولا تاريخ.. جاءت في جامعات لتشاركهم الحياة عنوة.

أراد الأهل أن «يقلموا» أضافرهم ويقصوا شعرهم.. ويعيدوهم إلى «الصواب» وقد وجدوا أن هذا المظهر الجديد في ذاته تحد لهم.. وهو في الواقع يحمل رغبة حقيقية ونزعة عطشى إلى الجديد.

إنهم يريدون اختيار الألوان التي تعجبهم.. نوع الحياة التي تناسبهم.. ونوع الحب الذي يلائمهم.. لأنهم يرفضون الأحكام المسبقة.. ويريدون مناقشة كل شيء.. حتى نصائح الأم الطيبة والأب الخبير ببواطن الأمور.

يقول لهم الأهل في حرارة:

ـ ولكن أنتم في سن صغيرة.. ونحن نريد أن نوفر عليكم ألم التجربة.. ونحميكم من خطر الانزلاق.

ولكن الشباب لا يريد أن يحميه الأهل من الشر.. وإنما يريد أن يقع في التجربة بنفسه ويستخلص منها الخطأ والصواب.. مهما كان الثمن غالياً.

وفي لقائي مع الشباب كنت لا أتمالك نفسي من الاعجاب أحياناً بشجاعتهم المبكرة على تحمل الصعاب.. فهم يواجهون الحياة وحدهم لا يطلبون المعونة من أحد.. في مزيج من الشجاعة والغرور.. ويعملون في إصرار.. لا يخجلون من أي عمل كغسيل أكواب البيرة في حانة، أو الخدمة في

البيوت، طالما أنها توفر لهم المال اللازم للدراسة أو السفر. . ورغم أنها غالباً ما تكون صعاباً خلقوها بأنفسهم نتيجة لعنادهم في مواجهة الأهل. . فإنهم يدفعون الثمن عن طيب خاطر. . وقد تضاعف إحساسهم بالذات. . تجسمت فيهم نوازع الاستقلال.

إن شابة مثل «سيمون» والدها يعمل رئيساً لتحرير مجلة اسبوعية في فرنسا. . تسافر في العطلة الصيفية إلى انجلترا. . لا تملك سوى تذكرة السفر. . وتعمل في لندن خادمة في فندق! لتنفق على نفسها، وتتعلم اللغة الانجليزية بعد الظهر.

وأسألها عن إحساسها فترد:

ـ حقاً أنا أرهق نفسي. . ولكني سعيدة لأنني أتعلم الانجليزية، وأنفق من «عرقي». . إنها لذة كبرى أن «أصنع» نفسي بنفسي أن والدي لا يبخل بأي طلبات. . ولكني أفضل أن أقوم أنا بدور ولية الأمر! . .

ومع «سيمون» «برجيت». . إنها آتية أيضاً من فرنسا. . مع «شانتييه» بالريف الفرنسي. . وقد جاءت إلى لندن لتقيم عند جاكي. . وتعمل في مستشفى تمريض. . أما جاكي فقد سافرت إلى فرنسا في العام الماضي وأقامت عند برجيت هناك وهذا التبادل في السفر والإقامة بين البنتين وسيلة اقتصادية! وعملية أيضاً. وقد أجادت برجيت الانجليزية وأجادت جاكي الفرنسية. . وتعرفت كل واحدة منها على بلد جديد. . شاهده معالمه والتقت بناسه.

وفي كل شهر يخرج مئات الشبان والشابات من الجنسين في الطرق الكبرى. . يحلون الحقائب على ظهورهم ويشيرون إلى العربات إشارات الـ auto - stop المعروفة. . وينتقلون من بلد إلى بلد، يتعرفون على الحياة والبلاد ويلتقون بزملاء لهم، وسرعان ما تقوم بينهم صداقات سريعة. . فهم مثل

الطيور الرحالة تتجمع عندما تطير في نفس الاتجاه.. تلتقط أي طعام.. وتنام تحت أي سماء صحوة أو ممطرة.

ولكن هل هذه الحياة تخلق شيئاً؟

مقاهي فرنسا المشهورة في سان جرمان وسان ميشيل تشهد مناقشات حية في الأدب والفن وفي الحياة تتردد في طرقات لندن وميادينها وحانات المانيا وإيطاليا.. وشباب أوروبا عندما يتقي يزداد حماسه، لخلق الجديد..

وهنا لا بد من مواجهتهم بسؤال محير:

- إذا كنتم قد ضقتم بالماضي فكيف تنظرون إلى الحاضر.. وإلى المستقبل؟

والرد دائماً مهما اختلفت أساليب صياغته هو

- نحن نعيش الحاضر. وهذا هو ما يهمنا لأن حاضرنا هو مستقبلنا.

إنهم يعيشون اللحظة، للتحول إلى ماضٍ.. وتصبح التالية هي مستقبلهم.. فيعيشون باستمرار في المستقبل.

إنهم يقولون،

- «نريد أن نعيش جميعاً في سلام. وفي حب.. شعارنا «الوردة والجرس».

نحن نكره الماضي لأنه كان مملوءاً بالكراهية.. بالقتل الجماعي.. نكره الماضي لأن فيه تفجرت قنابل ذرية في هيروشيما وناجازاكي.. سلبت الناس دماءهم وأبصارهم وأوقفت نبضات قلوبهم.. قادت العالم إلى الدمار. وحقول القمح في فيتنام إلى مقابر.. عدونا الثاني هو الاستعمار.. ونحن نحاربه، ونسخر منه في رسومنا.. لقد جعلناه يبدو إنساناً خرباً.. وكبرنا الصورة وعملنا منها إعلاناً ضخماً.. وصنعنا منهابطاقات تهنئة بالأعياد.. تباع في كل مكان».



مقاهي «سان ميشيل» في باريس . . فيها أكثر من مجال للتعارف . . والحوار .

● من هم أصدقاؤكم؟

ـ نحن أصدقاء أنفسنا. . لقد قال أفلاطون من قبل «أعرف نفسك». . ونحاول أن نعرف أنفسنا. . لذلك نقضي مع أنفسنا معظم الوقت. . ونتجاهل الآخرين.

● ولكنه حب للذات؟

ـ «إنه حب وكفى».
ما هي أقصر الطرق للوصول إليكم؟

ـ «لقد نسفنا كل الكبارى القديمة التي توصل إلينا. . وتخفينا وراء الملابس البراقة والشعر الطويل. . أدرنا الظهر لأسماء عائلاتنا. . ولدنا بلا أمهات في لحظة جديدة. . ورغم كل هذا تستطيع أن تصل إلينا بلا مجهود. . »

● ولكن كيف؟

ـ «إنس تماماً ماضيك. . أدر الظهر لنفسك تجاهل ما ورثته وما أحببته وما تعلمته. . إفتح عينيك جيداً وركزهما علينا. . وعلينا فقط.

أطرد كل الأصوات من أذنيك. . واستمع إلينا. . وإلينا فقط. .

وإذا كانت عيناك قد تعودتا على صور الماضي فلم يعد في استطاعتهما رؤية الجديد.

وإذا كانت أذناك تحملان أصداء الأصوات التي ماتت.

إفتح قلبك على مصراعيه وانظر إلينا من خلاله ستسمع حديثنا وتفهمه. . وسيوصلك قلبك إلينا».

إن لغة قلب أوروبا الجديد. . لغة سريعة ومباشرة كدقاته. . على الأذن أن تدرب نفسها لتسمعها، وتفهمها.



ويخيل للإنسان بما تحمله من إيقاعات مختلفة.. أنها أكثر من لغة.. بل.. ويقترب من الذهن الاعتقاد.. بأن الجسد العجوز يخفي في صدره العريض عشرات القلوب الجديدة.. لكل واحد منهنا إحساسه.. وسلوكه وكلماته!

القلب العاشق

في باريس. . على ضفاف نهر السين، كان رذاذ المطر قد أصبح عنيداً وملحاً كأنه يصر على مطاردة المارة، الذين أسرعوا الخطى إلى بيوتهم والمكتبات الصغيرة ـ التي تفرش كتبها وصورها على ذراعي الشاطىء أغلقت أبوابها. . إن أصحابها يدركون بحكم الخبرة أن سماء باريس عندما تتجهم فلا داعي لمعاندتها. . والرذاذا يتصل ليصبح مطراً عنيفاً، يكاد يحجب المباني والأشجار. . والقوارب التي سحبها أصحابها إلى الشاطىء، وهجروها إلى أقرب الحانات المفتوحة. . وفي لحظات كانت بائعات الورد قد أسرعن إلى التوارى، داخل محلاتهن الخشبية، وقد حملن باقات الورد وأصص الزرع على صدورهن في لهفة صادفة.

والغريب ـ خاصة إذا كان آتياً من الشرق يثير فيه هذا الجو الجديد المطير مزيجاً من النشوة والخوف. . إن الأمطار التي تحاصره فجأة، تجعله يركض كطفل ضال، وتوثب في قلبه إحساساً بالشقاوة. . ولكنها عندما تزداد، تضاعف إحساسه بالخوف والوحشة. . والبرودة. . والعرى. . وتجعله في حاجة إلى أن يلجأ إلى أقرب جدار. . يمسك بشجرة أو يضع يده في يد دافئه.

هي الأمطار التي جعلتني أفهم لماذا يجري كل إنسان. . ما عدى العشاق. .

تراهم يخطرون في بطء خطواتهم لاتخشى الانزلاق.. وأيديهم متعانقة.. والبرد يزيدهم التصاقاً.

إن منظر الحب.. كلما أمطرت السماء.. أجمل مناظر الشتاء.. وإذا كان الإحساس بالخطر، يوقظ في القلب الرغبة في الحب.. فإن أمطار أوروبا وبردها تصنع شيئاً غريباً حقاً في قلوب شبانها وشاباتها.. مثل نزهات الجندول في قنوات فينيسيا، وأنغام الكمان في ميدان سان ماركو.. وإذا كانت فينوس ربة الجمال قد خلقت من زبد البحر. فكيوبيد الطفل الشقي، رب الحب في الأساطير الأغريقية.. لا بد أنه شغوف ـ بحكم سنه ـ بالأمطار كالصبية عندنا، عندما يخرجون للمطر، ويهللون في مرح!

ولكن شباب أوروبا الذي عرف كيف يحب في الشتاء يعرف أيضاً كيف يحب في الصيف.

أن تظهر الشمس، في غابة بولونيا وفي يوم أحد، مناسبة جليلة للعشاق.. تمتلىء بها الحدائق العامة بالألوان الدافئة، تتعانق في الظلال وتتوه تحت الأشجار.

وفي لندن أيضاً، تصخب الحدائق، بالجنسين.. وتتوه الأجسام في العشب الأخضر.. تتخفف من الملابس لتستقبل الشمس «الخجلة».

ولعل أشهر هذه الحدائق وأكبرها هايد بارك». «وهايد بارك» هي حديقة الحب بلا نزاع.. لا لجمالها، وحلاوة زهورها وأشجارها.. ولا لما تحتويه من مقاه. وبرك صناعية.. ولكن لأنها تتيح للعاشق.. آلاف الأركان الهادئة يستطيع فيها الحب أن يختبىء عن الأنظار.

في عام ١٩٥٩ خرج الدكتور بيلي جراهام Billy Graham في نزهة.. وقادته المصادفة إلى هايدبارك.. ودخل الرجل الطيب الحديقة، يتنسم عبير الزهور.. ولكن لم تمر لحظات حتى ارتفعت الدماء إلى وجهه، وغلى الغضب



فوق أوراق الخريف التي تقطها حديقة
«هايدبارك» الشهيرة.. تخطو كأنها تبحث عن الحب.

في عروقه، لما شاهده حوله من مناظر الحب.

وعاد الرجل فزعاً ليصرخ في زوجته:

ـ أنا لا أستطيع أن أصدق ما رأيته.. لقد تحولت الحدائق إلى حجرات نوم.. ما الذي تركناه لقوم سادوم وعامورة؟

وانطلق الدكتور ينبه الآباء والأمهات للحرية التي ريتع فيها الشباب في هايدبارك.

وأثارت كلماته مناقشات حامية، وسرعان ما هدأت.

وبعد تسع سنوات انطلقت صرخة جديدة بسبب الحدائق العامة.. والمناسبة نزهة على القدمين أيضاً للكاتية الانجليزية آن شاريلي.

عادت بعدها تكتب باكية في «الايفننج ستنادرد».

«لقد ذهبت بالأمس إلى حديقة سان جيمس.. وكانت الشمس ساطعة والحديقة مملوءة بالناس.. ولكن وآسفاه أين ذهب العشاق».

إني لم أرهم»

وتقطر كلمات «آن» بالمرارة، وهي تتذكر الأيام الخوالي.. ومنظر العناق والقبلات في حدائق لندن».

ولكن هل مالاحظته آن شاريلي حقيقة.. وهل عاد الهدوء فعلاً إلى حدائق لندن.. المرتع الأول لنشاط كيوبيد؟.

إن جولاتي في الحدائق اللندنية المختلفة ـ سواء في الصباح أم المساء.. أكدت لي أن نشاط العشاق من الوضوح بشكل لا يمكن أن تكون آن شاريلي لم تلاحظه.

ولكن لعله لم يعد في الصورة التي أفزعت الدكتور جراهام منذ تسع سنوات!. «وباتريك بلات».. وقد عمل في هايدبارك ١٧ عاماً متوالية.. ويقول



نظرة إلى نهر التيمس . .
وقلوب شابة تتعارف لعلها
تتطلع إلى المستقبل وتحلم . .

أن سلوك الشبان والشابات أصبح أكثر هدوءاً وتعقلاً من السنوات الماضية .

أما إحصائيات البوليس فتقول أيضاً في وضوح أن حالات «خدش الحياء» العام انخفضت في منطقة هايدبارك من ٣٠٠٠ حالة في عام ١٩٥٩ إلى ٢٠٠ حالة فقط .

وقال لي أحد الفنانين الذين داوموا على عرض اللوحات على سور الحديقة لسنوات متتالية :

ـ إن نشاط الحب، قد غير مركز قيادته من حديقة هايدربارك . . إلى الطرق . . ومحطات المترو . . ودور السينما .

وفي الواقع أن الفنان الساخر لم يتعد الواقع . . فالعشاق في اندفاعهم الغريب واستسلامهم لعواطفهم، يتعانقون في الطريق . . وفي المترو. وفي كل مكان تقريباً .

وعامل الوقت يتدخل هنا.. فالشباب الذي يعمل بشكل متواصل.. ويلهث وراء لقمة العيش.. ويقف في الطابور ليبتاع تذكرة السينما والأتوبيس، أو الشاب الذي يذاكر.. ويذاكر في صبر طوال النهار يفقد هذا الصبر عندما يلتقي بصديقته. وأحياناً يكون اللقاء سريعاً لدقائق.. على محطة ترام قبل أن يستقل كل واحد منهما الاتجاه المغاير.

لقد قال لي أحد الشبان الانجليز، بعد أن قبل صديقته وتركها تفلت منه لتلحق بالمترو: -

- صدقت أنها لقاءات سريعة كالبرق.. لا أحس خلالها بأي متعة.

ويستطرد:

- إن الحب الحقيقي شيء آخر.. ولكن لقد تعودنا على هذه الحياة.. تماماً كما تعودنا على السندوتشات ومضغ اللبنان.

ولعل هذه الحياة.. أو هذا الاسلوب في علاقة الرجل بالمرأة هو الذي يلون أحياناً الحب فيعطيه شكل «الزمالة» أو «الصداقة».

قالب لي «إيريكا» وهي فتاة من سويسرا، جاءت تعمل في لندن مربية أطفال:

- أنا أحب منذ أربع سنوات شاباً يسكن إلى جوار بيتنا في سويسرا، وسأعود بعد عام لأتزوجه.

واستطردت:

«وفي الأشهر الماضية عندما كنت أحس بالضيق والوحشة وأنا وحدي هنا وخاصة في أيام إجازتي.. كنا أذهب إلى النوادي الليلية وأقبل الدعوة للرقص.. وكنت أرقص مع أي شاب أو رجل أجده وسيماً.. وأتركه يطوقني في نهاية السهرة وقد أسمح له أن يقبلني.. ولكنني كنت أحرص بعدها ألا أراه



الانتظار . . إنتظار أي موعد وأي فتاة . .

ثانية. كنت أرغب فقط في بعض «الحب» وليس كله. . لأنني لو تماديت، أخون حبيبي الذي سأتزوجه. وأخيراً فكرت أن يكون لي صديق واحد، نخرج معاً. . نرقص معاً. . ونذهب إلى السينما. . بشرط ألا نتعدى الحدود المعقولة في علاقتنا».

ـ وهل نجحت؟

ورد إيريكا «في ارتباك»: ـ

ـ نعم . . ولا . . لقد وجدت صديقاً. . وكانت صداقتنا حلوة. . إلى أن. . شرب في ذات مرة أكثر من المعتاد. . و. . قال أنه يحبني واندفع في حرارة يعبر عن حبه ولكنني قلت له أنني سأتزوج جاري السويسري. . فهو شاب هادىء، ليس غيوراً ولا مندفعاً. . إنه الزوج المناسب لي، حتى تستمر حياتنا الزوجية. ولكن صديقي غضب. وخرج يومها ولم يعد.

وعشرات مثل إيريكا، يتحدثن بمنطق يبدو من زاوية أنه متزن ومعقول. . ومن زاوية أخرى يبدو أنه منطق ممطوط لاحتواءزوج للمستقبل، وصديق، وزميل للرقص في سهرة السبت!

وبعض الشابات يعلن عن رغباتهن صراحة. .
وقد قرأت بعض الاعلانات تقول مثلاً:

* شابة في العشرين ترغب في مزاملة شاب طويل، عريض المنكبين أشقر الشعر. . ذي تجربة، ويحب السفر.

* شابة قد ضاقت بالشباب المندفع، ترغب في معرفة رجل هادى الطباع مثقف، يقدس الصداقة ولا يتعداها!

وفي إعلانات الشبان كلمات مباشرة ـ سببها إلى جانب ارتفاع ثمن كلمات الاعلان كلما ازداد عددها، الرغبة في توفير الوقت إلى جانب المال فمثلاً: ـ



في أحضان الحب يبحث الفتى والفتاة عن الخلاص
والهروب من أسئلة ملحة عن الحياة والوجود . .

* شاب يملك عربة سباق يسافر إلى الريفييرا لمدة اسبوع يرغب في شابة جميلة، تصاحبه الرحلة.

* شاب يملك حجرة واسعة بسريرين، لامانع عنده أن تشاركه فيها شابة، بشرط أن تكون حسناء.. وأن تشاركه في دفع الإيجار.

و.. عشرات الاعلانات الأخرى.. بل مئات الاعلانات الغريبة، في بعض الصحف والمجلات وخاصة صحف ومجلات الشباب.. وأحياناً معلقة في أركان مباني حي سوهو، أو تقال في وضوح في مقاهي سان ميشيل في باريس.

وزيادة في هذا الشكل المباشر في العلاقة بين الجنسين، ظهرت صناعة الشارات الرمزية، وتضم «تبسيطاً» «تلغرافياً» للرغبات.. مثل:

«دعنا نتعارف» أو «أنا أبحث عن الحب» أو قد يكون «لا تضيع وقتك» «ودعنا نحب» وهنا يتحول الحب خلال هذه الشارات التجارية إلى سلعة تشتري في لحظة وتستهلك نفسها قبل أن توجد لأنها تولد ميتة، بلا عناية، ولا حضانة ولا رعاية ولا تمر من مراحل نمو طبيعية.. مثل هذه الحقيبة التي اخترعها مصنع في لندن.. ولها مقبضان ليحملها الرجل والمرأة، عند قضاء عطلة نهاية الاسبوع. إن هذا المنطق الجاف في بشاعته، لم يفقد الحب رومانسيته وإنما سلبه شكله الانساني العميق.. وحرم الجنسين أحلى ما في الحب من اللهفة والقلق والبحث عن الكلمة المناسبة لتعارف طويل مملوء بالفهم.. وهذه الشارات الملونة في حجم فقاعات الصابون على صدور السبان والشابات تثير الحزن والاشفاق.. إنها رمز للجدب العاطفي، نوع من العجلة الحمقاء.. نقطع الطريق على الإحساس. وتنسف كل أصالة. ونبل في علاقة البشر.

وقد يكون هناك بعض العزاء، إن البعض يقبلون على هذه الشارات لمجرد أنها «موضة».. مثل الذي اشترى رباطاً للعنق خصيصاً لأنه يريد أن يثبت



فتاة وفراشة في حديقة هايدبارك.. وبعد لحظة تطير الفراشة ويقترب الحب!

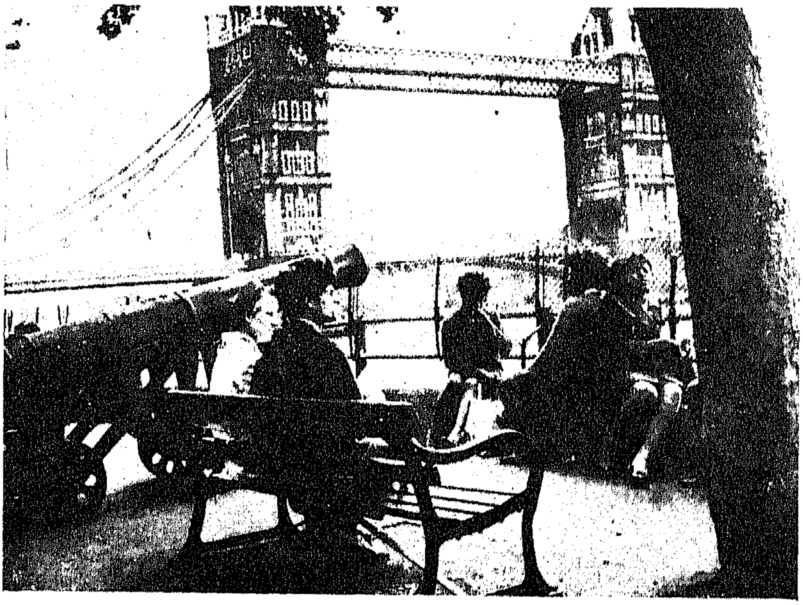


حمامة على الكتف وعيون تبحث عن عاطفة.

عليه شارة الصليب المعقوب.. وهو لايدري ما يرمز إليه من نازية.

ومثل التي ترتدي شارة مكتوباً عليها «أنا رهن شارتك» لمجرد أن لونها الأحمر يتناسب مع ما ترتديه.

ولكنه عزاء اليم.. والأمل أن تختفي هذه الشارات من المحلات والطرقات تترك الصدور صافية مرة أخرى للحب الحقيقي.



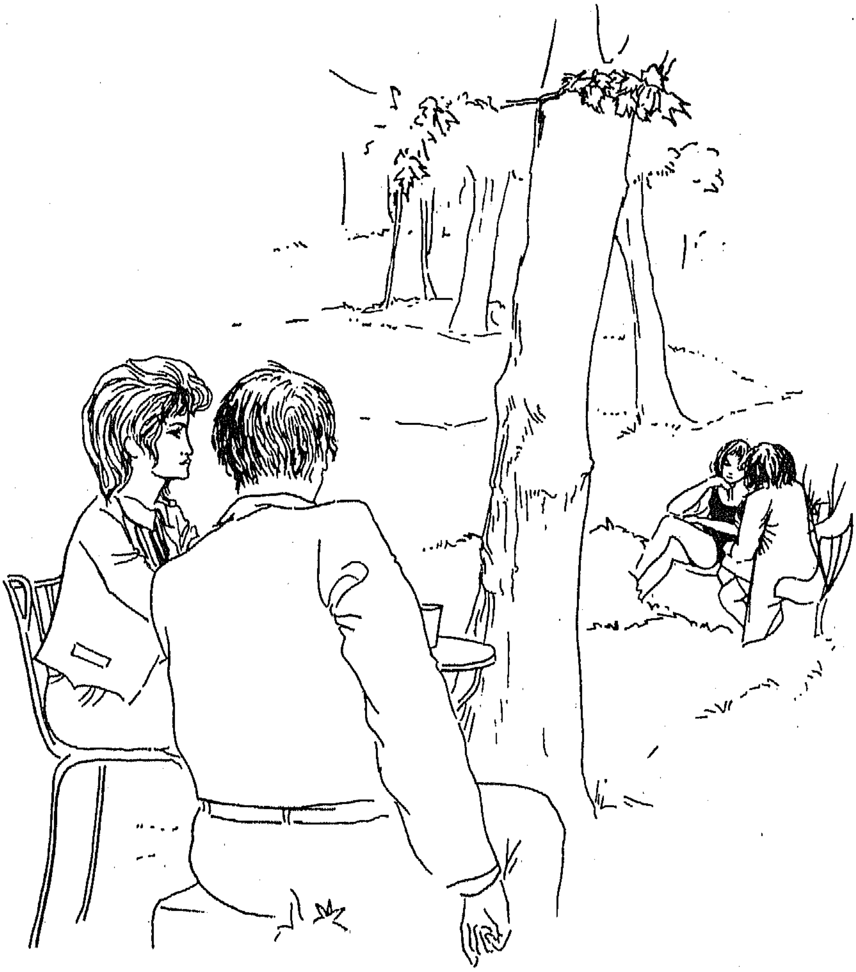
مدفع قديم يطل على «التيمس». . وشاب وشابة يتطلعان معاً إلى المستقبل.

لم يعد الشباب حقبة من الزمن . . وإنما ظاهرة حية.

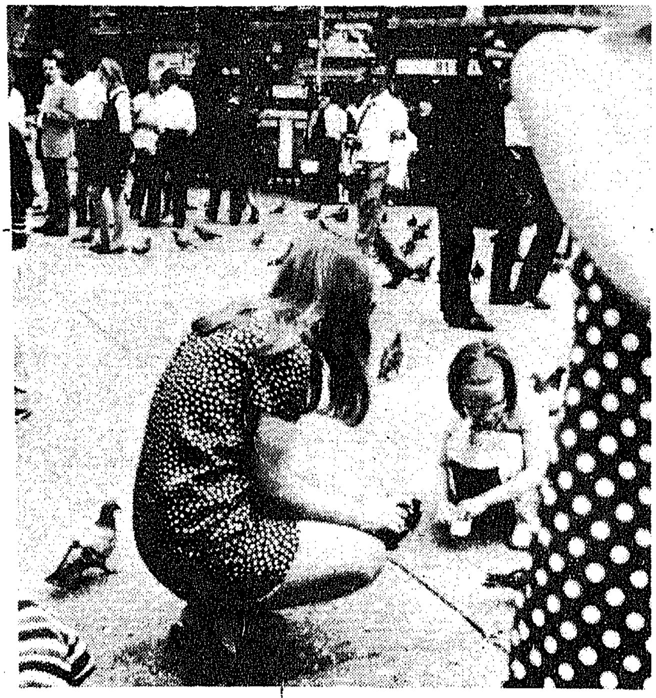




تمرينات الصباح فوق سطح البيت.. مع لذعات
البرد والقلوب الشابة تبحث عن رشاقة العصر..



«هايدبارك» هديقة الحب بلا نزاع!



إطعام الحمام هواية الفتيات

قبل زمن الحب . .



الحب قد يبدأ على الرصيف . .

مع همسات سريعة . . بعيداً عن

التكلف والدعوة إلى العشاء!

ولكن.. كيف يستطيع الإنسان في أوروبا أن يحب في نبل وبشكل سوي؟وهو محاط بالجنس من كل جانب، مطارد بصوره وأفلامه ليل نهار. تبهره، تسرق اهتماماته.. وتغرقه في جو المحركات والرغبات السوداء المجموعة، وتصبغ المعاني الحلوة والأحلام الوردية التي تداعب خيال الجنسين في وقت التفتح للحب وللحياة.. وتلوثها وتنحدر بها إلى الكهوف والنوادي الخاصة حيث يتوارى الحب الحقيقي. وراء جنس ممسوخ الملامح، مشوه التفاصيل. لا يعيش إلا في الضوء الخافت والأركان المعتمة، يذبح نفسه كل ليلة حتى مطلع الفجر في الخمر الرديئة.. وسحب الدخان.. والموسيقى الصاخبة..؟

إن حياة الليل تحتضن الشباب المراهق بألف ذراع تمدها كالأفاعي.. تستدرجه إليها في إغراء أكبر من سنه.. أقوى من مقاومته.. وإذا كانت Pigalle «بيجال» في باريس تفتح حاناتها، ونواديها الليلية ومئات محلات «الستريبتيز» تتجرد فيها النساء قطعة قطعة أمام الأعين الجائعة للسياح الأميركان وغيرهم.. فهي تعتمد على هذا الحي الذي يعيش الليل وينام النهار كمورد من الموارد السياحية الرئيسية.. ولكنها في نفس الوقت ترتكب أكبر جريمة في حق الشباب، الذي لا يستطيع أن يمنع نفسه من الانبهار أمام صور النساء في



راحت في غيبوبة تامة وهي تحت تأثير ما تعاطته من أقراص.

الأوضاع. . ولا يستطيع أن يغمض عينيه أمام أسهم النور الحمراء وهي تقفز أمامه في أشرطة النيون، تشير إلى باب الدخول. .

بل أحياناً تشكل في خطوط إنسابية جسد راقصة أو مشهداً غرامياً. . تذوب عنده مقاومة الشاب ويخطو خطواته الأولى إلى عالم الجنس. . وتتبعها خطوات وتتعود أقدامه على الطريق. . ويبدأ في كل مرة يبحث عن آثار أكبر. . وأكبر. .

وهذه الأماكن التي لا يقوى على نفقاتهاالشباب في فرنسا. . تصبح في حي سوهو أكثر تيسيراً. . فالتذكرة خفضت لتصبح عشرة شلنات. . بدون نفقات أخرى بالدخل. . وليس على المتفرج أن يطلب مشروباً كما هي الحال في بيجال. . ويدخل الشاب مرة. . وثانية وثالثة. . ومن ناد إلى آخر. . وكل ناد من هذه الأندية يتفنن في الاعلان عن نفسه. . والراقصة . . تخرج من هنا لتدخل هناك وتتردد في الليلة الواحدة على أكثر من أثني عشر مكاناً. . تؤدي في كل مرة رقصة مختلفة. . وتغير ملابسها وتسريحة شعرها. . لأن غالبية هذه المحلات تقع تحت سيطرة مجموعة من الجشعين، عرفوا كيف ينفقون على الشر. ويستغلون راقصاتهم. . ولهم (فتوات) في الأحياء والأزقة وعلى أبواب مراقصهم وبداخلها، مهتهم حماية الراقصاتأثناء العمل،وقذف كل من يحاول أن يتطاول عليهن. . وبعض راقصات الستريبتيز «يأخذن خمسة جنيهات على الرقصة الواحدة في كل صالة يعملن من الساعة الثانية بعد الظهر حتى منتصف الليل بشكل متواصل. . وتخرج الراقصة تعدو في الطريق إلى المرقص التالي وهكذا مما يشكل لها عملاً مرهقاً، ودخلاً كبيراً، يذهب الجزء الكبير منه «أتاوات» للفتوات.

ورغم ذلك فقد حاولت أكثر من واحدة الهروب من العمل. . والبحث عم عمل بسيط وشريف في محل تجاري. . أو تستكين إلى جوار زوج. . ولكن السيطرة التي يفرضها أصحاب هذه الأماكن تجعل هذا الهروب يكاد يكون



عبث ولهو . . وبعد لحظات قد يتحول العبث إلى معركة وتماسك بالأيدي .

مستحيلاً . . وقد وجد البوليس في عدة حالات،قادته إليها التحريات، أن التهديد بالقتل هو الشبح المخيف الذي يستبقي به أصحاب العمل الضحايا الجميلات . . فخهم الذهبي الذي يستدرجون به كل ليلة المبهورين بالجنس . . الذي يقفون في تردد أمام «الفترينّات» البراقة التي تبرز (نموذجاً) مما يوجد بالداخل . . ويذوب ترددهم أمام الحاح الرغبة . . والكلمات المغرية التي يلقيها على مسامعهم ـ وبكل اللغات ـ بعض الرجال صفر الوجوه، المتخصصين في جذب المترددين إلى الداخل .

قالت لي «نادين» . . وهي تعمل نموذجاً بمعهد من معاهد الفنون الجميلة في لندن : ـ

ـ كنت أول الأمر راقصة في ملهى «الحصان المجنون» في بيجال في باريس . . وهربت وجئت هنا . . لأعمال بعيداً عن ذلك الجو الموبوء . ما أعظم الفرق بين عملي الآن وما كنت أقوم به . . صحيح أني لا زلت أخلع ملابسي . . ولكن عيون الفنانين . . عيون طيبه . . ذكية . . تمجد الجسد وتحترمه . . أما هذه العيون المحمومة التي كانت تعذبني وتلسع جسدي وأحياناً أحزن وأنا أراها عيون شبان مراهقين بعضهم لم يبلغ بعد الثامنة عشرة . . أنه شعور أليم لا أحب أن أجربه ثانية . .

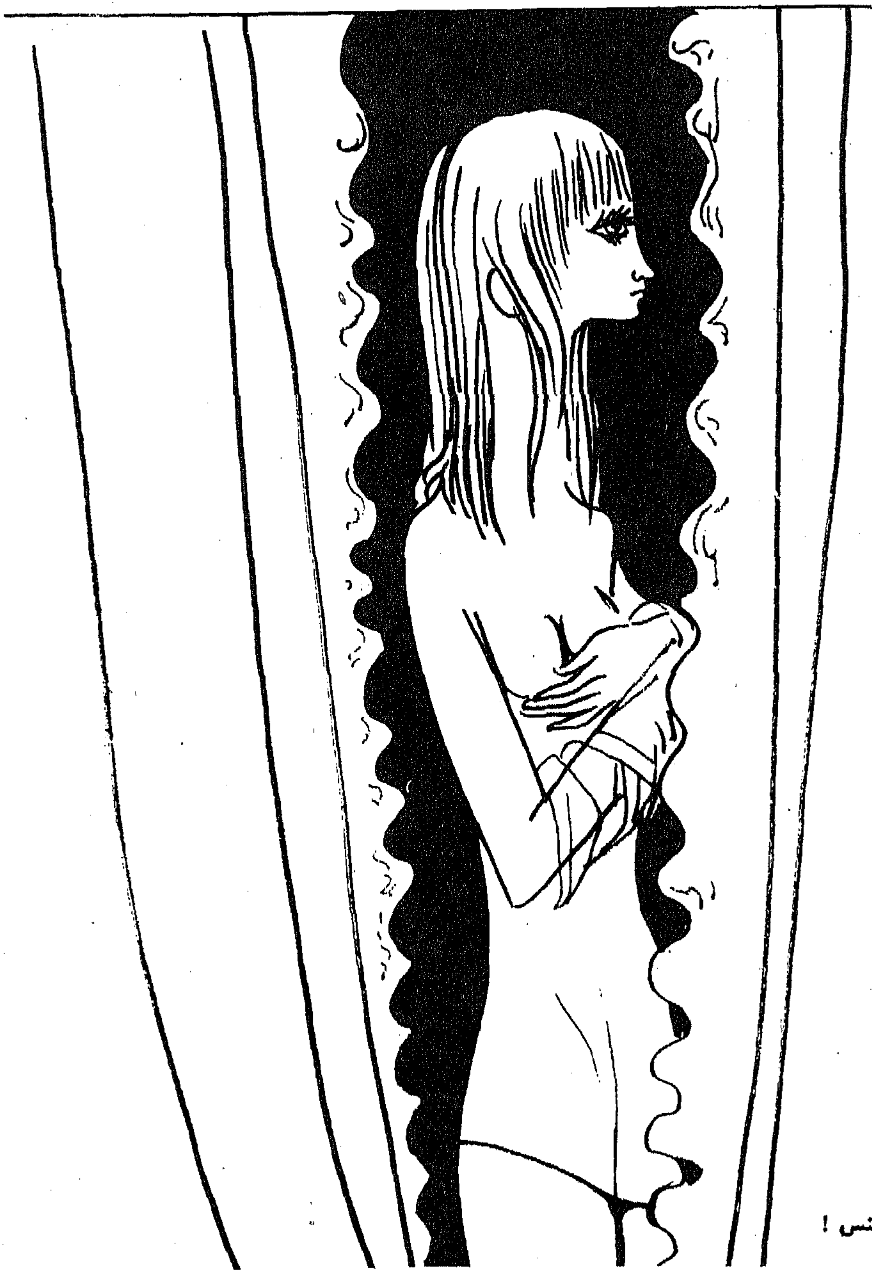
ولا يمكن القول أن كل راقصات بيجال وسوهو طيبات القلب مثل نادين . . فالمهنة قد علمتهم القسوة وبعضهن يتفنن في استفزاز العواصف . .

على باب ملهى «ثقب المفتاح» بسوهو سمعت حارس الباب يقول لرجل يترنح سكراً وهزالاً :

ـ لا داعي لانتظارك أنها لن تعيرك اهتماماً . .

ولم يرد الرجل وجلس على الرصيف . .

والتفت الحارس إلى المارة يستنجد بهم .



الجنس !

بنات «الستريبتيز» والطريق إلى الجنس!

ـ أبعدوا هذا المسكين من هنا. . أنه ينتظر كل ليلة إحدى راقصاتنا حتى الصباح. . وهي لن تعيره التفاتة. . .

ويريد الرجل وأثر الخمر يكسر بعض تفاصيل قصته الأليمة. . إنه استنفذ كل ما معه من نقود في التردد على الملهى يومياً. . ولم يتبق له إلا أن ينتظر الراقصة التي أعجبته. . وغمزت له بعينها وهي ترقص. .

وقال الناس وهم ينصرفون لحالهم. .

ـ مسيكن.

وعشرات غيره مساكين. . تعرفوا على الجنس من الأبواب الخلفية، وارتبط معناه عندهم بالساق العارية. . والكلمة العارية.

ولكن ما يحير حقيقة هو هذه الحياة الصحية التي تتفتح أمام الجنسين في رحاب الجامعات وفي المنتديات الرياضية والنوادي الثقافية. . ألا تكفي لحكاية الشباب من الجنس؟

ويرد على التساؤل. . رالف. . واحد من هؤلاء الشبان المملوئين بالصحة والتفتح. . يدرس. . ويعمل في وقت فراغه ليجمع النقود التي تكفيه للسفر إلى إسبانيا ثم القارة ليحقق هوايته وهي زيارة العالم الذي يشاهد جزءاً جديداً منه في إجازته الصيفية.

ـ إن زملائي في الجامعة كلهم ناجحون في دراساتهم وناجحون في علاقاتهم العامة. . لكل واحد منهم صديقة مخلصة. . وكثيراً ما نخرج كلنا معاً في نزهات خلوية نجري ونلهو. . ونعود متحمسين لاسبوع جديد من النشاط والعمل. . الجنس عندنا ليس مخيفاً. . ولا مثيراً. . ولا براقاً. . ولكنه جانب من جوانب الحياة. . إن زملائي الذين ينحرفون. . ويستسلمون للجنس. . لم تتح لهم الفرصة للنضوج الاجتماعي. . لعلهم محرومون من الصداقة الحقيقية. . أو فشلوا في علاقتهم بالجنس الآخر. . أو لعلهم في عجلة إلى



في بيحال التي لا تنام الليل تلعب الخمر بالرؤوس.

الرجولة، يعقدون أنها تنمو من المراقص أو النوادي الخاصة».

وعندما زرت بعض هذه النوادي الخاصة التي ذكرها رالف.. وتأكدت فعلاً أن المسألة تأخذ أحياناً نوعاً من استعراض الرجولة.. أو التفاخر بالنضج بالنسبة للجنسين..

الصخب.. الضجيج.. التحدث بأعلى طبقات الصوت.. والمناقشات التي تتفجر من لا شيء لتستوعب كل شيء.. واللحي المسترسلة.. والحركات العشوائية التي يولع الشباب بالقيام بها.. وهذه الملابس العجيبة التي ترتديها البنات بعضها مكشوف وفاضح.. وبعضها جاف وخشن كملابس الرجال.. كل ذلك مثل مشهد سينمائي مدروس في فيلم من أفلام الموجة الجديدة عنوانه (نحن هنا). لقد كبرنا ونضجنا.. ونريد أن نتحدث ويستمع الجميع إلينا.. والأهم أننا الآن رجال في فوران رجولتنا ونساء صغيرات مملوءات بالنضج والحياة.

إنه تعبير عن الوجود.. ولكن في إطار جديد.. ليست المسألة راقصة تتجرد.. وشباناً عيونهم تشتعل ناراً.. ولكن شبان وشابات من الجنسين في صخب التفتح.. في حرارة اللقاء المباشر.. كل يريد أن يظهر إمكانياته أمام الجنس الآخر.. بل وأمام جنسه أيضاً.. ومن هنا كانت المباراة في الأزياء الغريبة.. والملامح المثيرة.. كل واحد يريد أن يكون الصدارة ويلعب دور البطولة في السيرك الكبير.. ومن هنا أيضاً أصبح في لندن شارع للتقاليع.. «كانبري ستريت» يغزوه الشبان من الجنسين للتزود بأسلحة حب الظهور.. بأسلحة الوجود.. إن الملابس التي تباع فيه أشبه بريش الطاووس الذي يريد أن يبهر بصر أنثاه يلبس قمصاناً وردية، وأزراراً ذهبية. ويضع وردة في جاكتته السوداء ذات الخصر الضيق، ويطلق شعره حتى الكتفين وأكمامه مزودة بالدانتيللا. والبنات في سبق «الوجود».. وفي الاحساس بالنمو.. وبالجسد الذي اكتمل يخترن أضيق الفساتين وأقصرها.. وبمجرد أن أعلن رجال الموضة

أن الفساتين سترتفع خمس سنتيمترات فوق الركبة انطلقت المقصات، ترتفع بها عشرات السنتيمترات وفي السباق المجنون لم تتخلف سوى قليلات حرصن على المظهر المحتشم. . وأصبحت الميني جيب «والميكروجيب» الملابس الوطنية لكل الشابات. . وارتفعت الصيحات من كل جانب. .

ـ أوقفوا هذه الملابس الجنسية!.

وضاعت الصيحات في الاتدفاع الكبير مع مطلع الصيف. . وموجات الحر المزعومة. .

وصاحت الكتبة (روسالي سان» في بنات جنسها وكتبت تقول: ـ

إن مشاهدة البنات في ملابس الميني أصبحت هواية جديدة للرجال. . ومن غير المعقول أن تظهر النساء بهذه الأزياء في الشوارع والمترو. . وننتظر أن يتمالك الرجال أعصابهم. . إن هذه الملابس القصيرة. . والتي تنحدر يوماً بعد يوم أسفل العنق. . وترتفع أكثر وأكثر فوق الركبة تدفع الرجال إلى الجنون. .

وكيف التصرف؟: وتقول روسالي شان:

ـ المزيد من العناية والحرص في أسلوب المشي والجلوس. . وطالما أن حواء الشابة لا تريد أن تطيل ذيل فستانها. . فعلى الأقل عليها أن لا تزيد من عريها عندما تجلس وتقف وتتحرك».

وقال لي أحد الآباء مهموماً: ـ

ـ لم أعد أستطيع نصح إبني وابنتي. . أن الظروف كلها تتكالب ضدي. . كتب كثيرة في المكتبات. . ميني جوب في الطرقات. . أفلام جنس. . وأغاني جنس. . ما الذي استطيع أن أصنعه لأصون ابني وابنتي من هذا التيار؟.

وفي الواقع لا يستطيع أي أب انجليزي أو أوروبي شيئاً أمام هذه الموجات التى تتلاطم واحدة بعد الأخرى. . وتتلاحق من كل جانب. . وبعض

الشباب يجد في الجنس نوعاً من الهروب. . من الدراسة. . من البيت. . من الكنيسة. . أو من نفسه. .

إنها وسيلة جديدة للانتحار. .

هكذا أكد أحد علماء النفس . . أنها وسيلة تخريب ذاتية يرتكبها الشاب أو الشابة في نفسه ينتقم خلالها من فشله في الدراسة أو العمل وأسأل : -

- ولكن ألا توجد وسيلة لمقاومة هذا التيار؟

وكل الإجابات تأتينا مملوءة بالتشاؤم : -

لو أغلقنا الباب سوف يأتي الجنس من الشباك. . أنه يدخل مع التليفزيون وأغنيات الراديو وإعلانات الصحف. . هناك إعلانات تقول صراحة. . «نستطيع أن نعلمك كيف تستمتع بالجنس ونرسل لك مع البريد نسخة من كتابنا للتجربة. . ».

- وهناك بعض الاعلانات تبدو بريئة جداً

«روزي» المستعدة لإعطاء دروس خصوصية في الرقص.

«بيبي» المستعدة بعض الوقت.

«نورا» المستعدة للترفيه. .

وكلها إعلانات تنتهي نهاية واحدة. . بالجنس.

- بل حتى هذه الشركات التي تعلن عن مضيفات شابات لمصاحبة الأعزاب في أنحاء لندن. . .

إنها ليست نزهات فوق مستوى الشبهات. . .

وكثيراً ما يقود الجنس إلى أحراش سوداء تسلم إلى المخدرات والجريمة.

والقلب الجـديد.. نبضـه الصاخب أقـوى من أن يتحمله جسد أوروبـا العجوز المنهك بتجارب الزمن...

أحراش القلب

في مستشفى «سوث هول» South Hall «ميدلسكس» تجمعت عشرات ـ بل مئات ـ الحالات المثيرة للألم والحزن. .

وجوه صفراء. . غارت فيها عيون لا تعبير، تحيط بها هالات سوداء، وأجساد كالخيال، أشباح تتحرك في ذهول. . وكثيراً ما تخرج من الحجرات أصوات تبكي، أو تستنجد. . أو ترتجف مع نشيج طويل.

إن الاقلاع عن الإدمان، يحتاج إلى بعض الجلسات النفسية والاستنجاد بالإرادة. . والدين. . أما المخدرات فهي عندما تهاجم ضحاياها. . تجد في نهمهم للتجربة بكل ما تحمل من خير أو شر، المرعى المناسب، تنمو فيه وتتمكن يوماً بعد يوم من «الضحية» ولا تتركها إلا جثة هامدة. . أو نفساً هائمة موتها خير من حياتها. إن الاندفاع وراء «الجنس» وخاصة في السن المبكرة، غالبتً ما يصحبه الاندفاع إلى الخمر وإدمانها. . والمخدرات والأقراص التي أغرقت الأسواق السوداء في السنوات الأخيرة. . تضاعفت لتشكل ظاهرة خطيرة، وخطراً حقيقياً. .

وفي بداية الأمر كان الاحتجاج ضد «مستشفى سوث هول» كبيراً. . وكان الاحتجاج من جانب شباب «الهيبيز» وضحايا المخدرات طبعاً. . ووصلت بهم



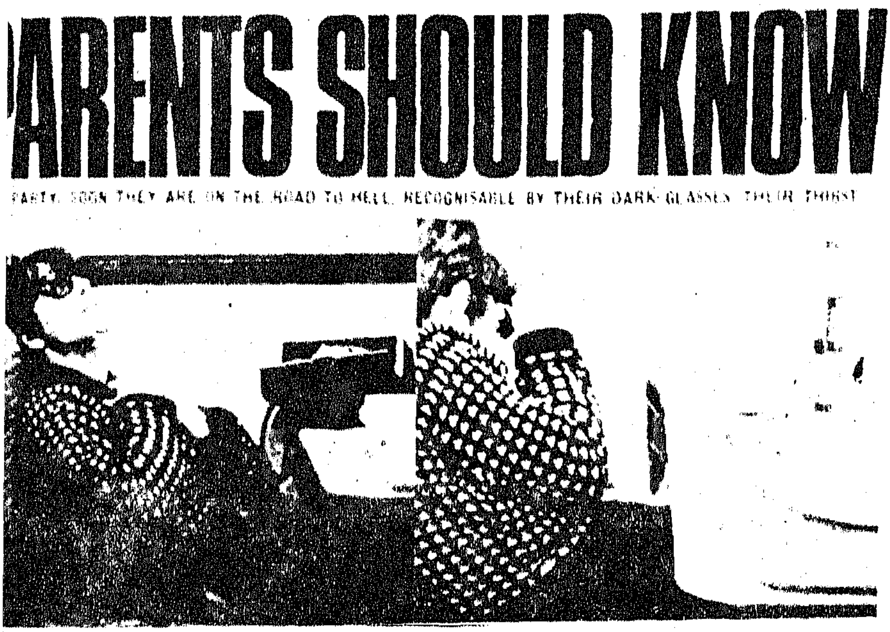
أي هموم . . يحملها هذا القلب الذي تخلى عن الأسرة.

الجرأة إلى الهجوم في جماعات على جريدة «أنباء العالم» News of the Word لأنها هاجمت نجوم «البوب» Pop المعروفين بتعاطيهم المخدرات.. وطالبت الحكومة بمنع مخدر المارجوانا الذي يتزايد ضحاياه بسرعة مذهلة..

لم يعجب الهيبيز أن ترفع جريدة «أنباء العالم» أصبع التحذير.. واعتبروا مقالاتها تحريضاً للحكومة حتى تتخذ الاجراءات الرادعة ضدهم.. وصموا آذانهم متجاهلين ناقوس الخطر الذي بدأ رجال الدين والتربية والصحافة يدقونه في كل مكان لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الضحايا الصغار الذين دفعهم نهمهم للحياة إلى الانهيار والموت البطيء!

ورفع المئات من الجنسين أيديهم المصبوغة والطويلة الأظافر في احتجاج وارتفعت أصواتهم أمام الجريدة تهتف الحرية «للمارجوانا» وإباحتها.

ومن حسن الحظ أن الصيحات المجنونة، لم تلن من عزيمة



صحيفة تحذير للأهل.. والصور التي تبين الأعراض التي تظهر على كل من تتناول الحقن والأقراص المخدرة!

المسئولين. . الذي رضخوا مرة من قبل وتركوا للشذوذ أن يمارس نفسه كيفما شاء طالما كان بين الطرفين البالغين وبرضى الطرفين!

فأرادوا هذه المرة أن يكونوا أكثر شدة وحسماً. .

وهزمت «المارجوانا» أمام القانون. . وأصبح تعاطيها محرماً. . وارتفع عدد نزلاء مستشفى «ثوث هول» الذين جاءوا بأنفسهم أو عن طريق البوليس أو الاطباء، للعلاج والتخلص من سيطرة المارجوانا وأثرها المدمر. . !

ومن أهم شروط العلاج. . أن يقوم المريض أو المريضة. . بكتابة قصة وقوعه فريسة المخدرات. . كيف تعاطاها لأول مرة؟ . . من قدمها له؟ وكيف تعلق بها؟ وهي أشبه بعملية التحليل الذاتي. واسترجاع المريض للظروف التي أسلمته إلى المخدرات. وتوضيح هذه الظروف أمامه، يجعله يتقبل العلاج بسهولة أكثر ويخلص من البصمات النفسية التي لا تمحى بسهولة. .



وهذه القصص سرية، لا يطلع عليها إلا الأطباء... ولكن قصة واحدة خرجت من نطاق السرية لتنشر، وبرغبة حقيقية من صاحبتها التي أفلح العلاج في إعادتها إلى الحياة الطبيعية بعد أن كانت على خطوات من نهاية محتومة فأرادت أن يجد العالم في قصتها عظة واقعية!

وحسناً فعلت (كارول جيبون).. لقد هزت قصتها الرأي العام.. واستطاعت بكلماتها الحقيقية وخلال تجربتها القاسية، أن تعطى من نفسها مثلاً حياً لما قد يصيب من يشتد بهم مد الرغبات وجذبها.. ولقد احتاجت «كارول» لقدر كبير من الشجاعة لتعري نفسها أمام ملايين القراء الذين طالعوا تفاصيل قصتها المذهلة.. ولكنها فعلت ذلك عن طيب خاطر، وهي تحكي قصتها الأليمة لتكون عبرة لغيرها: ـ

«لقد انفصل أبي وأمي وأنا في هذه السن الحساسة الثالثة.. وعندما أدركت الرابعة عشرة كنت أسهر حتى مطلع الفجر في علب الليل ونوادي «الوست أند».. وهناك تعرفت لأول مرة على المخدرات.. ولم أستطع أن أحتفظ خلال تلك الفترة بعملي فتركته.. لأتنقل بين الأعمال المختلفة.. وفي نفس الوقت كنت أتنقل أيضاً بين أنواع المخدرات المختلفة حتى تعرفت على رجل أمريكي في أحد البارات وقدم لي لأول مرة عقار «ل. س. د» L.S.D وكنت



همسة خبيثة.. وبعدها، دعوة لتعاطي المخدر..



ثلاث شبان.. وضياع كامل.. على أرصفة لندن.



خلعوا الحياء.. وخلعوا الإحساس بما حولهم في وسط ميدان بيكاديللي!

وقتها في السادسة عشر.. مشردة بلا بيت.. فأعطاني بعض النقود للسكن والطعام ولكنني اشتريت بها دراجة بخارية، وجربت أن أسوقها وأنا تحت تأثير المخدر الجديد...

وكانت النتيجة أن وجدت نفسي راقدة في المستشفى فقد ارتطمت بلورى ضخم محمل بالزهور.. وأنا أعتقد أنني أندفع وسط حديقة غناء!

ورغم أنني أمضيت في المستشفى أربعة أيام في حالة إغماء إلا أنني خرجت لأعاود نفس أسلوب الحياة الذي نهضه.

وعندما أدركت السابعة عشرة.. تعرفت بشاب عاطل في الحادية والعشرين عشت معه ثلاثة أشهر.. علمني خلالها أن أحقن نفسي بالهيروبين..

وكنت قد استطعت أن أجد لنفسي عملاً جديداً ولكن لأيام معدودة فقط.. فلم يعد في وسعي الانتظام في أي عمل..



القلب الصاخب يجر صاحبته إلى الشرود.

وكنت أعتقد لهذا الوقت أنني إنما أسير في دائرة نجوم «الموجة الجديدة»، الذين كنت أقرأ عن تعاطيهم المخدرات.. وعندما سمعت عن المظاهرة التي ستتوجه إلى جريدة أنباء العالم لتطالب بحرية تعاطي المخدرات.. تحمست مع المتحمسين وتجمعت معهم في «توتنهام كورت رود» في منتصف الليل.. وزحفت معهم في الصباح إلى مقر الجريدة أصرخ بكلمات الاحتجاج.

وسافرت إلى باريس مع مجموعة من الشبان والشابات وبعد ثلاثة أشهر أسلمني البوليس إلى السفارة الانجليزية التي أعادتني إلى لندن.

وعندما تجولت من جديد في «بيكاديللي» كان أصدقائي يقولون في بساطة «كنا نعتقد أنك قد فارقت الحياة» فالموت لضحايا المخدرات لا يعني شيئاً.. وعدت أواجه الحياة التي تعودتها من قبل في حانات بيكاديللي.. وانتقلت للسكني في حي «وست هامبستد» وكنت قد وصلت لدرجة مخيفة من الهزال.. طعامي كله لم يكن يتجاوز كيلو من اللبن. فالأكل والنوم لا يعنياني في قليل أو كثير.. إنها مجرد احتياجات تثير الضيق لأنها تخرجني من حالة التخدير الدائم وكانت حالتي قد ساءت إلى درجة لم أكن أتصورها. كنت كالمجنونة أظل جالسة لساعات طويلة وعيناي مركزتان في الفراغ.

وعاد أبي إلى المنزل مع بداية العام الجديد.. وأصرت أمي على عودتي أنا أيضاً.. وعندما رآني والدي وشاهد الحال الذي وصلت إليه، إنهار إلى الأرض في نوبة إغماء.. وارتفعت المأساة إلى الذروة عندما قبض علي البوليس ليسلمني إلى سجن «هالواي» لمدة خمسة أسابيع...

وفي أول يومين كنت أرتجف برداً.. أصابعي مجمدة.. والدموع تنساب من عيني ولا أستطيع السيطرة على نفسي.. ودفعت بدبوس إلى يدي لأعطي نفسي الإحساس الذي تعودت عليه.. ونقلوني إلى حجرة إنفرادية.. وكانت الفرصة الوحيدة أمامي للعودة إلى الحياة من جديد»

ونجح العلاج. . وشفيت «كارول جيبون» تمـاماً. . وعـادت الصحة إلى جسدها الهزيل. . وعاد اللون الوردي إلى خديها. . ولم تعد عيناها تحدقان في الفراغ بلا معنى. . وإنما عاد إليهما بريق التيقظ والانتباه. .

قطعت كل الخيوط التي تربطها بالماضي التعيس. .

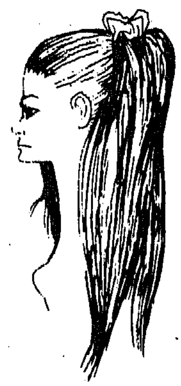
«لم يعد في إمكاني أن أعيش في عـالم من الأوهام، وأن الحيـاة هديـة منحها لنا الله. فلماذا نحاول أن نقضي على أنفسنا؟.

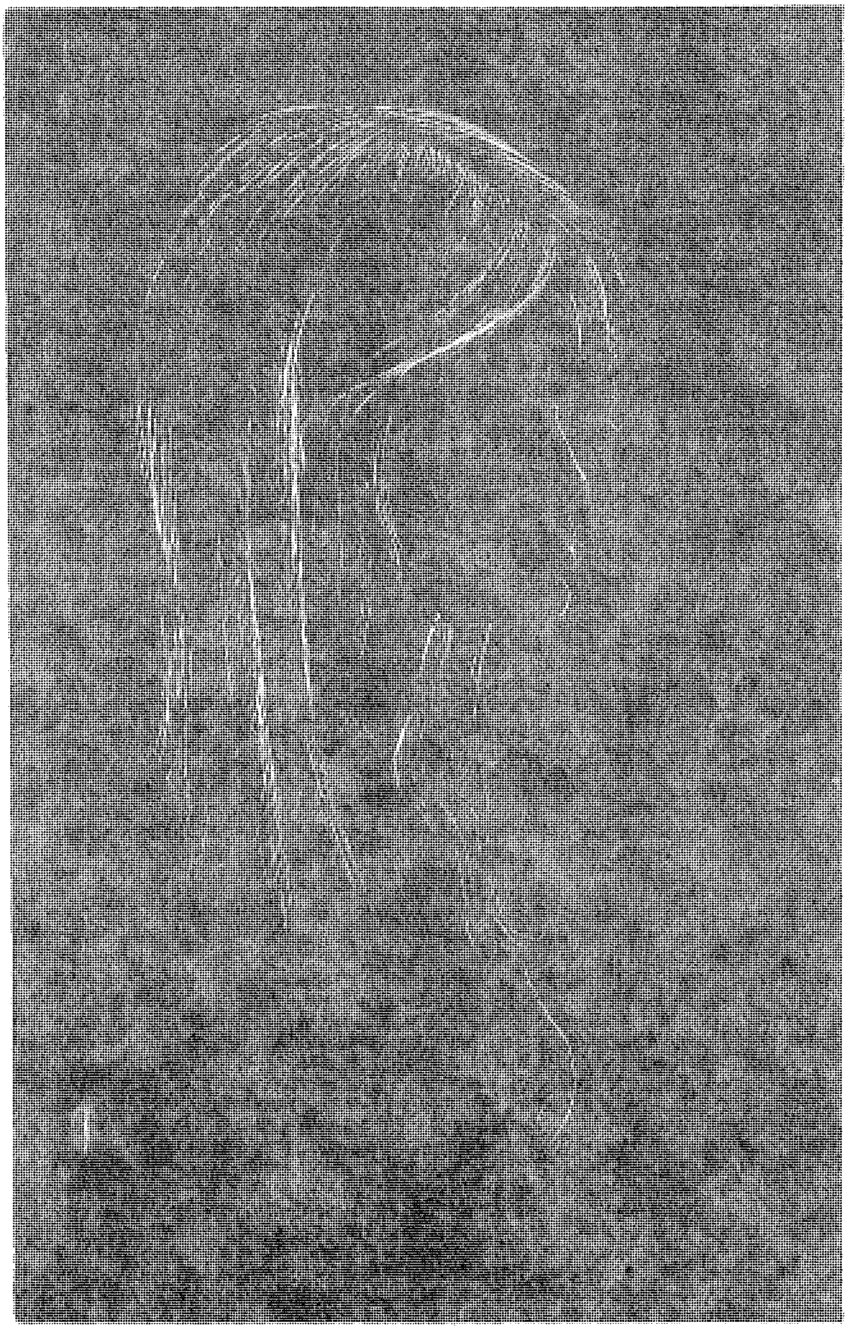
ومثـل ساوث هـول «توجـد أيضاً أمـاكن أخرى تفتـح الأبواب للمـدمنين ليعالجوا حتى الشفاء ومن هذه الأماكن: The Convent of Spelthorne St. Mary at Rgham Surrey ومنها أيضاً: The Salvation Army.

التي رغم أنهـا لا تملك غير أربـع أسرة إلا أنهـا تشترك أيضـاً في علاج المدمنين وضحايا المخدرات والأهم متابعة حياة المريضة بعد العلاج. . والتأكد من أنها قد عادت إلى أسرتها وتعيش حياتها الطبيعيـة. . وأحيانـاً إذا كانت في حاجة إلى العمل. . توفر له ظروف العمل الذي تحتاجه. .

ومن خلال هذه الجهود. . وغيرها. . هل نستطيع أن نتفاءل؟

إن بعض الإحصائيات الأخيرة لا زالت تثير الرعب بأرقامها المتصاعدة: ـ





في ربيع العمر.. تنظر في خوف إلى المستقبل..
بعد أن فقدت إيمانها بالحياة.. من فرط أنكبابها
على الحياة.

* ٢٠,٠٠٠ علبة من أقراص L.S.D. سرقت من صيدليات منشستر في خلال عام واحد. بالإضافة إلى ١٠٠ مليون علبة تصرف في أنحاء لندن وضواحيها بروشتات.

والإدمان غالباً ما يمر من ثلاث مراحل: ـ

المرحلة الأولى: تبدأ بابتلاع «قرص» لمتابعة السهرة.. في ليلة السبت للرقص حتى الصباح.. ثم قرص آخر يوم الأحد للذهاب إلى سهرة جديدة.. ثم قرص ثالث يوم الاثنين لمتابعة العمل أو الدراسة.. وفي الاسبوع التالي تتكرر المسألة بشراء أقراص جديدة.. وقد تكون خمسة أقراص.. يباع منها إثنان لتغطية النفقات!.

المرحلة الثانية: في الحفلات الجماعية الصاخبة التي تقام فيها مباريات للتحدي للجنسين وتحت تأثير «الجو» وأنغام الجيتار تدخن الماريجوانا.

المرحلة الثالثة: مرحلة الهيروين والكوكايين ولا يدركها إلا نسبة ضئيلة.. وضحاياها غالباً يموتون قبل إدراك الخامسة والعشرين.

واسلوب نشر الحقائق، هو الاسلوب المتبع الآن في أوروبا للتنبيه إلى الخطر الذي يتهدد حياة المدمن ومستقبله، وفي برنامج تسجيلي للتليفزيون جمع (جون دين) John Deane معلومات دقيقة، ووصف لجمهور المشاهدين.. المدمنين في لحظات إنتظار قرص المخدر والرجفة تهزهم هزاً وتكاد تقتلهم.. وصف حياتهم القذرة.. وعيشتهم الأليمة.. وقال في نهاية برنامجه.. «لقد تركتهم وخرجت.. وتنفست الصعداء.. وعندما خطوت إلى الخارج كنت كمن دخل كوكباً جديداً».

وكانت المجلات الاسبوعية أجرا عملياً من جون دين.



أب.. وأم.. وانتظار طويل لابنة خرجت من
البيت وتاهت «متعمدة» في طرقات الحياة!

فقد نشرت تحقيقاً موجهاً للأهل.. تساعدهم على إكتشاف بداية الخيط لانحراف الأبناء والبنات.

إنها تصف، وتصور.. أين يتردد المدمنون في أول الطريق إلى عالم الأقراص والمخدرات.. والأحياء المريبة والنوادي الخاصة والبارات..

وتصف مسلكهم في الأيام الأولى من ظهور هذا الانحراف الاجتماعي في حياتهم..

النظارات السوداء التي غالباً تحجب النظرات الزائغة والهالات السوداء.. والوجه الشاحب..

والميل الذي لا يقاوم للشرب بشراهة عنيفة..

وناشدت المجلة الأهل أن يكون أول من يلاحظ الأبناء.. قبل أن يفلت الزمام..

إن جسد أوروبا العجوز ليتابع نزوات قلبه الجديد.. استسلم للإدمان.. ووقع فريسة للأقراص والمخدرات.. وطرق باب الانحراف والجريمة..

بلا قلب

إن القلب الجديد في جسد أوروبا ليس دائماً فوق الشبهات. إنه يتوقف ياناً.. فيموت الضمير.. ولايموت صاحبه.

إن أخبار الجرائم التي خرجت من أوروبا في السنوات الأخيرة.. وخاصة رائم الجنس، والعنف، والانحراف. معظمها جرائم بلا رحمة.. وبلا ب..

في فرنسا وفي ألمانيا وإيطاليا وانجلترا تقارير البوليس معظمها يدور في اق جرائم جنس.. والخط البياني لعدد هذه الجرائم يتصاعد بسرعة تثير لق.. بينما ما فيها من «وحشية» ومن سلوك حيواني، يثير الفزع يوماً بعد يوم.

عمليات اختطاف الفتيات في المانيا وإيطاليا وقتل الغلمان في فرنسا.. جرائم الانحراف في انجلترا أصبحت من الأخبار اليومية الدائمة في صحف الم.

في آخر زيارة لي لفرنسا.. كان البوليس والرأي العام.. وعدسات لفزيون.. وقلوب الامهات تتابع الأمل الضعيف في العثور على طفل صغير الثامنة اختطف.. وتنتهي المأساة بموت الطفل والقبض على القاتل ـ طالب إحدى المدارس الثانوية.



صورة لضحية من ضحايا العنف «موشيت»
التي تتعرض للاعتداء عليها. . في فيلم
فرنسي من إخراج «روبرت بريسون».

وفي آخر زيارة لي لانجلترا . . وخلال اسبوع واحد . . تابعت مجموعة من الجرائم المذهلة :

* في جريدة Evening News كانت تفاصيل مقتل شابة حسناء في العشرين من عمرها بالقرب من ثكنات الجيش ترسم علامة استفهام غارقة في الدم .

* وفي ضاحية Kent Assizes قدم شاب للمحاكمة اسمه «بيتر فيرنون» . . والتهمة قتله فتاة في الخامسة عشر من عمرها .

* ميشيل دافيد . . قبض عليه البوليس لأنه في يوم سبت في الساعة التاسعة مساء . هاجم الممرضة أوبس ميدلتون . بالقرب من بيتها في Nevcom-road Portsmouth وطوقها من الخلف ، واضعاً ذراعه حول عنقها ليعتدي عليها وهو نفس الاسلوب الذي اتبعه من قبل في الهجوم على السيدة بوداني هجسز من North End في Portsmouth أيضاً . . ومن حسن الحظ أن الممرضة تعرفت عليه ، رغم القناع البلاستيك الذي حاول أن يخفي به وجهه ، وأراحت الناس من شذوذه . وقد صرحت أمه أنه كان يشاهد ـ في نفس اليوم السابق لهجومه على الممرضة ـ فيلماً سينمائياً بشعاً عنوانه «الصعود إلى المشنقة» .

ولا أعتقد أن الأمر كان مجرد مصادفة أن تعرض إحدى دور السينما في «سوهو» فيلماً يحكي تفاصيل مماثلة لجريمة ميشيل دافيد . . وعنوان الفيلم «هاجمها على غرة» وعندما رأيت إعلانات الفيلم . . تبادرت إلى ذهني تفاصيل الجريمة . . وعندما شاهدته . . لم يكن أكثر من مشاهد مثيره وحرفية لما ارتكبه ميشيل دافيد !

* وتتابعت في نفس الاسبوع مجموعة أخرى من هذه العينة البشعة من الجرائم : Leslie Miller طالبة شابة . . دخل السفاح حجرتها ليقتلها وهي وسط كتبها تذاكر .



قصص التعذيب والاعتداء على النساء تغرق الكتب والمجلات



صفحة من مجلة تحشد كل صور العنف والإثارة.

* ولعل أسوأ هذه الجرائم التي هزت الرأي العام، . وهزت اسكتلاند يارد ولاقت عناية وجهداً من المحققين، قضية Carol Scullion التي تأكد البوليس من أقوال صديقتها (كريستين بلاك) أن القاتل الذي هاجمهما معاً في غابة بالقرب من Dunton on Tyne شاب يتراوح سنه من ١٥ ـ و ٢٠ .

وهنا أعلن جون كولنسن .C.I.D وهو من أبرع رجال البحث الجنائي أن الرجال البوليس سيصورون كل الشبان في هذه السن من سكان الضاحية وما حولها . . وهذا معناه تصوير أكثر من ٥,٠٠٠ صورة عرضت على الطفلة كريستين بلاك للتعرف على القاتل . . وهي عملية مجهدة قد استغرقت عدة أسابيع . . ولكن البوليس قام بواجبه في عناد وإصرار وفي جهد متواصل لأن هذه الجرائم تثير الرأي العام . . وتثير البوليس وتثير الصحافة أيضاً التي غالباً ماتكتب مقالات نارية تتهم فيها السينما والتلفزيون وكتب «الكومكس» ومغامرات جيمس بوند . . بأنها السبب في إفساد القلب والفكر معاً .

ولكن أغرب ما قرأته في هذا الموضوع بحث جديد . ورأي مختلف في مجلة Link up وهي مجلة خاصة بالسجون .

وصاحب المقال أحد المساجين القدامى في سجن Dartmoor تباحث مع زملائه في موجة الجرائم العنيفة التي اجتحت الشباب في الفترة الأخيرة في محاولة لإيجاد حل عملي من خلال تجربتهم وقرروا التالي :

«لا بد أن تترك الفرصة للأطفال والمراهقين لمشاهدة الأفلام العنيفة، فهي تصلح كصمام أمان لعواطفهم، إن أفلام الجريمة، والعاب المسدسات تهدىء الميل الغريزي للعنف وكما أننا في الحرب، يجب أن نعرف طبيعة العدو . فلكي نحارب العنف يجب أن نتعرف على طبيعته، يجب أن يعرف الأطفال ما هو «العنف» حتى يتجنبوه ونحن نخدع أنفسنا وأطفالنا عندما نتجاهل حقيقة المشكلة» .

وهذا الرأي قد فتح مجالاً للحوار والمناقشات.

وعلم النفس سحاول أن يتعاطف مع هذا التفكير. .

وهناك العديد من الجرائم ينظر إلى مرتبكها على أنه مريض النفس وليس مجرماً. . وهذه النظرة «المتعاطفة» ساعدت على تبرئة مجموعة كبيرة من الشابات السارقات للمتاجر الكبيرة. . واعتبرن مريضات. . ووجد بعض الأطباء أن هناك صلة كبيرة بين الكبت الجنسي. . ومرض السرقة وجرائم القسوة عند المرأة.

وعلى ما يبدو أن القانون أرحم «بحواء» يحاول أن يجد لها الأعذار. . وقد انخفض عدد السجينات في انجلترا إلى ٨٣٠ امرأة. . معظمها حالات سرقة. . وحالات القتل لم تتعدى ١١ حالة.

وهناك ٥ سجون للنساء في انجلترا. .

والاتجاه. . إلى جعل السجن «علاجاً» لنزيلات من النساء وليس «عقاباً» كمحاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه منْ مستقبل المرأة الذي يضيع تماماً عندما تعامل كمجرمة يدينها المجتمع. . ووصل التساهل أن أصبح في وسع نزيلة السجن التي لم تتعد الخامسة والعشرين أن تلتقي بذويها في السجن مرة كل شهر. . بينما من تعدت الخامسة والعشرين لا يسمح لها إلا بزيارة واحدة كل ٨ أسابيع. وقد سمح سجن هالاواي إلى إحدى نزيلاته Myra Handly بالسفر ٣٠٠٠ كيلو متراً لمشاهدة جدتها المريضة في ريزلي ريماند!

وتقول الإحصائيات أن وجود فرد واحد في السجن يكلف الدولة ٨٠٠ جنيه استرليني في السنة. . والدولة تحاول جاهدة أن توفر المبالغ التي تدفعها نتيجة لطيش شبابها وشاباتها وانحرافهم. . أو كما قال لي أحد رجال البوليس: ـ

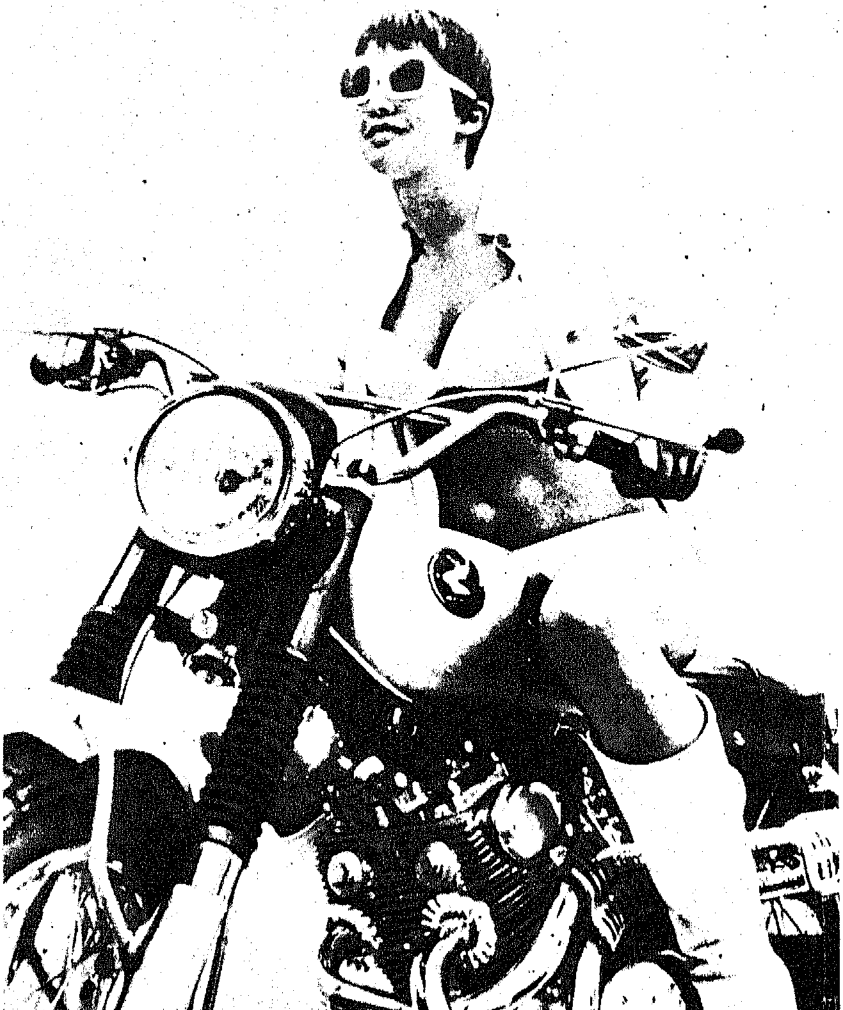
ـ على الأقل نحاول أن نعيد من يخرج بعد إنقضاء فترة عقوبته سليماً



ألعاب العنف على قارعة الطريق أمام إحدى جامعات لندن!

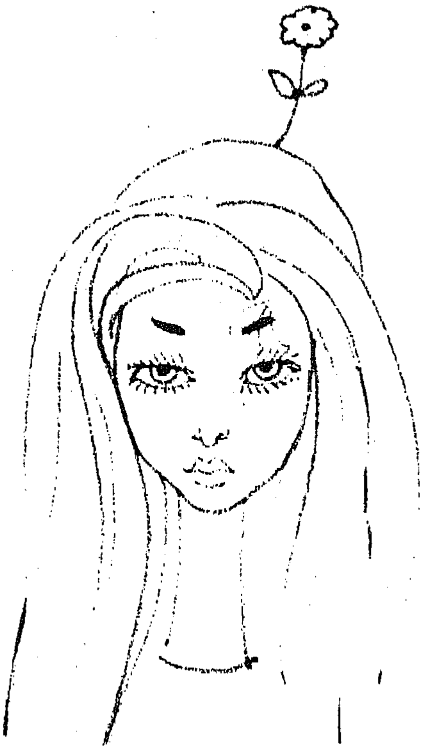
معافى إلى المجتمع ليستأنف حياته، وحتى لا يعود إلينا مرة أخرى، ملطخ الأيدي والضمير أشد ضراوة وعداءً للمجتمع.

إنها عملية «تدليك» للقلب الذي توقف ـ وأوقف معه الفكر والضمير ـ إلى الاحساس من جديد.



العنف والجنس معاً . . في مغامرات مجنونة بطلتها شابة منحرفة!

قلب الهيبي



الوردة.. شعار «الهيبيز»

إن الرغبة العميقة في «مزاولة الحياة» والتعطش إلى «كسر» المألوف.. لمجرد «التحدي».. والحنين إلى الإحساس بالذات، هي العوامل التي أنبتت البذور الأولى لجماعات «الهيبيز» Hippies أو هي التي أوجدت التربة الصالحة. التي من خلالها برزت فجأة هذه الظاهرة التي جاءت من أمريكا. تبحث عن ضحاياها في أوروبا.. وتغزو لندن.. وباريس.. وتفرد سلطانها الغريب على الجنسين.



هيبيز . . على الطريق . . وضياع . . وهمسات محرمة ومخدرات .

كطيور رحالة أرهقها السفر . . يلقون بأنفسهم للراحة قبل استكمال الطريق . ولكن إلى أين؟!



إن «شباب الهيبيز» من حيث مظهره، لا يختلف كثيرا عن الشكل الذي تصادفه في ملامح شبابا أوروبا بشكل عام.. الشعر الطويل.. الملابس الغريبة.. للشبان.. و «الميني جيب» أو البنطلونات السوداء للشابات».. فالاختلاف ينبع أساساً من الداخل.

وإذا كان أي شاب أوروبي قد يتحرج مراعاة «لبعض» التقاليد ولا زال يحترم «بعض» الاخلاقيات.. فشاب «الهيبي» لا يهمه في قليل أو كثير الدين أو الأخلاق.. أو التقاليد.

وإذا كانت أي شابة أوروبية تحس بروابط الأسرة.. وتعمل حساباً لكلمات الأب أو مشاعر الأم.. فإن الشابة من جماعة الهيبيز.. قد لا تهتم حتى بالسؤال عن صحة الوالد المريض.. أو مساعدة أم متعبة.. بل قد تخرج من البيت بلا عودة وبلا كلمة وداع.

في سان فرنسيسكو ٢٠٠٠ مراهق ومراهقة تركوا بيوتهم بهذا الاسلوب الغريب.. وانتموا إلى جماعة «الهيبيز».

كنت في باريس أتطلع، في دهشة وعجب إلى بعض هؤلاء المراهقين الذي زحفوا إلى العاصمة الفرنسية، كالجراد.. يتسكعون في الطرقات بالقمصان العجيبة، ينامون على الأرصفة.. ويغنون أغرب الكلمات.

كيف وصلوا من أمريكا إلى باريس..؟ ومن أين أتوا بالنقود..؟ هل جاءوا بالطائرة أم بأي وسيلة أخرى؟ لا أحد يعلم..

وفي «مونمارتر» و «بيجال» و «سان جرمان».. بل وفي كل مكان في باريس.. كانوا ينطلقون فرادي أو جماعات.. وفي بادىء الأمر.. قنع الشباب الباريسي بالتطلع إلى هذه الظاهرة الغريبة... وابتسموا لمنظر هؤلاء السياح الحفاة».

ولكن لم تمر أيام حتى تسللت ظاهرة الهيبي إلى الشباب الفرنسي عن



في سان ميشيل في باريس وجدتهما معاً. . هي تبيع بعض كا تملكه من أجل مواصلة الحياة بلا هدف. . أما هو فيقنع بالجلوس إلى جوارها. . يتأملها في شرود.

طريق «الموضة». . فأهل فرنسا كبارها وصغارها لهم ولع شديد بالأزياء. . فاعتبر شبابها أن ما يلبسه «الهيبيز» من أسمال وملابس غريبة. الموضة الجديدة للشباب. . وأصبحوا يترجمون كلماتهم. . وشاراتهم إلى اللغة الفرنسية، حتى تصبح «الموضة» مطابقة. . وبالطبع مع تقليد «المظهر» تسللت الأفكار والتصرفات تدريجياً.

في مقهى «بسان ميشيل» في باريس. . جلست فتاة أمريكية، حافية القدمين ترتدي فستاناً من الخيش كتب على ظهره «ليسقط العالم كله. . وأعيش أنا» والتف حولها مجموعة من الشبان والشابات يسألونها عن معنى الكلمات ويترجمونها، وفي ابتساماتهم العريضة، واهتمامهم الواضح. . ما يدل على أنهم قد عقدوا النية على تقليد فستان الخيش ذي شعار التحدي.

وأمام اللوفر، تجمعت مجموعة أخرى حول شاب أمريكي آخر مسترسل الشعر إلى درجة يختلط على الإنسان الأمر. . هل هو شاب أو شابة؟

وهذا الشاب يبيع بعض القصائد المطبوعة والصور المنحلة. بحجة أنها من فنون الهيبي وأفكارهم الجديدة.

ويبدو أن باريس رغم تسامحها. . واتساع صدرها لكل من هب ودب. قد خافت على نفسها من جنون هؤلاء المراهقين الذين ضاقت بهم بلادهم فجاءوا يحملون جنونهم وشذوذهم إليها. . فقد أصدر الجنرال ديجول أمره بمنع دخول جماعات الهيبي إلى فرنسا.

ولكن الأمر صدر متأخراً. . وبعد أن احتلت فرنسا بعدد لا بأس به منها. . وبعد أن تحولت مجموعة كبيرة من الشباب الفرنسي إلى «شباب هيبي».

وأرادت الصحافة الفرنسية أن تساعد الحكومة. . وتساعد الأهل وتحمي أولادهم، وتحتفظ بشبابهم نظيفاً ذكياً بعيداً عن إنحرافات الهيبي. . فقامت بحملة واسعة مدعمة بالأرقام والتحقيقات الدقيقة من أمريكا. . تكشف الجوانب

فتى.. وفتاة.. هو من بلجيكا وهي من فرنسا.. لقد سافرا معاً بلا معرفة سابقة وانتهى بهما المطاف في ميدان بيكاديللي.. ونامت حافية القدمين مرهقة.. ونام هو إلى جوارها على الرصيف والمنظر لم يلفت نظر إنسان سواي.. والتقطت لهما عشرات الصور.. وتركتهما مع أحلام قارعة الطريق!



الخفية لجماعات الهيبي، وتظهر للشباب الفرنسي.. أنها ليست دعوة دينية.. وإنما دعوة انحلالية وليست ديناً جديداً. وإنما إنحراف جديد.. وليست موضة.. وإنما شذوذ.

ومن ملفات البوليس.. وشفاه الأهل ساقوا لقرائهم الشبان الدلائل الت لا تقبل المناقشة:

* Carol Methero التي قبض عليها البوليس في ١٢ نوفمبر راقدة بالقرب من إبنها الصغير الذي قتلته في قسوة بالغة.. شابة مجنونة من شابات الهيبي في Denver بولاية كولورادو الأمريكية.

.. تصريح للدكتور Richard L. Travern أستاذ علم النفس في بوسطن يقول فيه:

لو استمرت «جماعة الهيبيز» في أفعالها، سنصبح خلال سنوات معدودة كارثة وطنية.. إنها مأساة مؤلمة راح ضحيتها شبابنا.. وهو خير ما كنا نملك».

جيل جاد يعمل يتطلع في عجب إلى جماعات
الهيبيز والهيبيز أنفسهم يتطلعون بلا مبالاة..
كان الأمر لا يعنيهم..



** إحصائية في أمريكا عن الرقم المذهل الذي وصل إليه عدد الهيبيز ٩٠٢٤٦ معظمهم فقدوا الذاكرة.. أو دخلوا المستشفيات أو ماتوا على قارعة الطريق كالكلاب الضالة.

** النداءات المتتالية التي يذيعها راديو أمريكا.. والتي معظمها صيحات دامعة لأب يطلب من إبنه أن يعود.. أو أم تبكي للمستمعين وتصف ملامح إبنتها التي خرجت ولم تعد، بعد أن انتمت إلى الهيبيز.

وفي باريس.. سمع معظم الناس عن مأساة Charies Schonck وهو أحد الأعضاء البارزين بالحزب الجمهوري في نيويورك.. واستمعوا إلى صوته المتهدج وهو ينادي على ابنته Elizabeth التي لم تتجاوز السادسة عشرة.. والتي تركت البيت لتنتمي هي الأخرى إلى جماعات الهيبيز.

* ٣٥,٠٠٠ دولاراً تدفعها سان فرنسكو في العام لعلاج المدمنين من شباب الهيبيز.

ولكن الشباب الباريسي ظل في حماسه.. «للجماعة الجديدة» بكل ما تحمل من خير أو من شر.. إلى أن جاءت الأخبار الأكيدة أنها تحمل شراً.. ولا تحمل أي خير.

فقد اهتزت أمريكا.. واهتزت أوروبا كلها.. ودمعت عين باريس وهي تقرأ تفاصيل الجريمة التي لقبت فيما بعد «بجريمة الهيبيز» وراحت ضحيتها Linda Fitzpatrick وهي شابة في الثامنة عشرة.. وJame Lerov وهو شاب في العشرين.. لقدقتل Jame.. بطريقة بشعة وقتلت Linda بعد الاعتداء عليها.. أما كيف تمت الجريمة فخلال حفلة صاخبة مع ثلاثة آخرين من جماعة الهيبيز.

وتوالت أخبار أخرى لجرائم متعددة..

وعرف الشباب الفرنسي.. أن الذين يتحدثون عن الحب.. والصفاء.. ويهاجمون العالم المادي.. مجردون من الضمير.. يعيشون في انحلال، أو كما كتب واحد منهم في مجلة Time لا نستطيع أن نجد الله أو الحب في سادوم وعامورة».

إن مجرد اختلاف شابين على حبوب عقار الـ L.S.D. تسبب في قتل أحدهما.

إذن.. ليس وراء هذه «الموجة الجديدة» من السلوك سوى الجريمة.. والضياع.

وبعد أن كان شباب أوروبا ينظرون اليهم.. على أنهم من «الصناعات الأمريكية» المثيرة.. أداروا لهن ظهورهم في شك وارتياب.

وبينما كانت باريس تقفل أبواب مطاراتها وموانيها في وجوه ـ صعاليك

أمركيا الحفاة ـ كانوا قد تسللوا إلى انجلترا . . لعلهم يجدون تحت سمائها فرصة تجاوب الشباب الانجليزي مع أي جديد . . ورفعوا نفس الشعارات الخداعة .

«البحث عن السلام» .

الحب .

والانجليز مولعون بالشعارات . . مولعون أيضاً بهذه الأجراس الذهبية التي صنعها الهيبيز . . وبالورود التي تزين قمصانهم . . ويعلقونها على قبعاتهم، أو يرشقونها حيثما اتفق في ملابسهم .

وظهرت أغنية الخنافس تتحدث عن واحدة من شاباتهم «إنها تغادر المنزل»؟

ولكلمات تقول إنها تغادر المنزل لأنها أحست بأن في داخلها شيئاً كان دائماً ينكره من حولها .

ولاقت الاسطوانة نجاحاً ساحقاً . . وسعد بها الهيبيز كثيراً . . واعتبروها دفاعاً مجيداً عنهم .

ولكن من جديد خرجت الصحافة الانجليزية . . وكتاباتها . . تنقد الهيبيز في شدة . .

وظهرت تحليلات علماء النفس والأطباء تقول كلاماً واضحاً . .

«إنها جماعة مريضة . . يجب أن تعالج أو تمحى من المجتمع».

من الممكن تعليل ظهور الهيبي . . بالزمن والمكان الذي وجدت فيه . . والتضارب . . التطاحن . . زمن حروب وضراعات . .

إن جرائم الفيتنام التي تأتي أخبارها ساعة بغد ساعة بما فيها من بشاعة . . تخدر ضمير الشاب الأميركي، وتجعل أي جريمة يرتكبها تبدو بسيطة . في متناول الضمير . . والفساد حوله . . وسيطرة الدولار على النفوس تجعله في محاولة يائسة للتحرر من سطوته ينطلق في عناد، يسعى في العالم بلا نقود، بقدمين حافيتين ونفس مريرة . . إن الشاب الذي يشاهد والده يسقط صريعاً وهو يتكالب على جمع المال . . يحاول أن يلقي بنفسه في الاتجاه المخالف . . ليموت وسط الملذات كأنه يتحدى مصير والده . . والشابة التي ترى أمها أسيرة السيارة آخر طراز . . والموضة . . والمساحيق . . تريد أن تتحرر . . ولكن لتقع في شر أخطر . . في الصعلكة والتشرد .

وكل هذا الضياع يتجمع . . ويتجمع في جماعات يزداد انحلالها . . ويزداد بغضها للمجتمع . . ويزداد إنفصالها عنه يوماً بعد يوم، لتخلق لنفسها مجتمعها المغلق على الشر والفساد . . تخدر نفسها . . وحواسها . . وتغلق ضميرها وتوصد صوت العقل . مثلما فعلت جماعة منها أطلقت على نفسها إسم «أسرة مانسون» سلبت الحياة من جسد الممثلة الشقراء «شارون تيت» وأصدقائها الأربعة في ٩ أغسطس ١٩٦٩! . وتظل جرائمها غامضة حتى تعترف واحدة من أفراد «الأسرة» المجنونة . . ويكتشف البوليس مع نهاية العام أن عدد جرائم أسرة مانسون تجاوزت ١٨ جريمة قتل! .

ويدرك العالم كله بشاعة وجنون «الهيبيز» عندما يخرجون عن الوعي والإدراك . .

ومع عام ١٩٧٠ تبرز كلمات المؤرخ العالمي «توينبي» يقول :

«إن الهيبيز ناقوس خطر عنيف للمجتمع الأميركي! ثم يضيف ونظره يتجه إلى المستقبل: -

«من المحتمل جداً أن تكتسح حركة إجتماعية واسعة حركة الهيبيز». ويعود للشباب احترامه مرة أخرى»!.

و«أرنولد توينبي» على حق في تحذيراته.. وعلى حق في أمله في مستقبل بلا «هيبيز».

فقد ولدت هذه الجماعات من خلال الحرب والحقد ولا يمكن أن يتصلح حالها في يوم من الأيام.. ولايمكن أن يثمر الشوك ثمراً.. وهذا في الواقع ما أدركته هذه الجماعات بنفسها.. فحددت نشاطها.. وقنعت ببعض المظاهر العلانية.. وبعض الاجتماعات الخاصة.. أنها أدركت أنها تسير إلى نهاية طريق مغلق بالشر والجريمة.. ولم يعد المجتمع وحده هو الذي يدينها.. وإنما ارتفعت من داخلها أصوات احتجاج تحول فيها الهمس إلى مجاهرة.

وعاد مئات أفرادها إلى ذويهم.. ولن أنسى أبداً مشهداً مؤثراً في إحدى مقاهي ماربل آرتش بلندن.. عندما التقى والد مع ابنه بعد سنوات فراق.. قضاها الابن متسكعاً من بلد إلى بلد مع جماعة من جماعات الهيبي التقى بها.. إلى أن علمته الحياة.. وعلمته الأحداث. أنه يفقد نفسه ويبيع شبابه للشيطان وبلا مقابل.. فأراد أن يعود إلى أسرته.. واختار أن يلتقي بأبيه في المقهى الذي يتردد عليه.

وعشرات الاعلانات الصغيرة في الصحف والمجلات وجدت من يرد عليها أخيراً.

** «عد إلى بيتك يا جوني..»

** «وارجعي إلى عائلتك يا فيكي..»

ويرجع جوني وفيكي ومئات الآخرين..

ولا بد أن جماعة الهيبيز قد شعرت أخيراً باليأس لأني عندما عدت إلى لندن في الصيف كان أفرادها أقل عدداً بشكل واضح . . وقلت أخبارهم بشكل عام .وكان أوضح أخبارها وآخرها أنه في Haigh - Ashbury ومركزها الرئيسي تجمع أكثر من ٣٠٠٠ شاب وشابة من أفرادها ليحملوا على أكتافهم تابوتاً مزيناً بالزهور . . ساروا به ليدفنوه تعبيراً عن تخلصهم من «الهيبيزم» . . وأهالوا على التابوت التراب وهم يبكون ما أسموه «نهاية الأمل الكبير» .

لقد أراد الهيبي أن يخلعوا قلب أوروبا الجديد ويضعوا مكانه جرساً . . ولكن الجسد العجوز ابتلع الجرس ودفنه في أعماقه البعيدة .



قلب اللوحة

ما الذي يحدث عندما يغلق الفنان عينيه.. ويرسم بانفعال القلب؟

وهذا ما شاهدته في أغرب معارض الفن المعاصر بلا شك.. والنموذج الفريد للانقلاب الذي يريده فنان اليوم..

صالة العرض محجوزة.. والافتتاح ساعته محددة.. وفي الداخل وقف الفنان يستقبل الزوار..

وعلى الجدران تطل عشرات اللوحات.. بيضاء خالية من الرسم.. ومن الألوان ومن أي شيء، سوى لون قماش الرسم.. والزوار يتطلعون.. وينتظرون.. وعندما تمتلىء الصالة ويتعالى الهمس.. ويضيق الجميع بالانتظار.. يأتي الفنان بألوانه وأصباغه وفرشه.. ويقف في انفعال أمام الجمهور يملأ اللوحات الخالية.. وتجري الخطوط وتجري الألوان.. والجمهور يتابع في شغف.. وتنتهي اللوحة الأولى.. حمراء.. ألوانها تقطر دماً.. ويصيح أحد المتفرجين:

ـ «إنها لي.. أنا أحجزها».. كم أعشق هذا اللون.. إنه يذكرني بمصارعة الثيران. وينتقل الفنان إلى لوحة ثانية.. يغمس فرشاته في الأزرق.. وألوانه تجري هذه المرة في أقواس.. وتهمس إمرأة: ـ



الفنان يقفز بألوان وأصباغه كأنه يرقص باليه . . في آخر صيحة من صيحات الفن !

ـ إنها سماء.

ويقول رجل بجوارها: ـ

ـ لابل بحر..

والفنان لا يلتفت ويستمر في رسمه المنفعل والألوان تذوب في بعضها.. والأقواس.. تتشابك وترقص.. ثم تتعارض.. كأنها رسم بياني لرجفات قلب مجنون والعيون تتابع الرسم.. تماماً كما يتابع رواد المسرح الممثلين وهم يتراشقون بالحوار..

ومع إنتهاء الليل.. يكون الفنان انتهى من معرضه.. المعرض الذي أعده ورسمه وباع لوحاته في ليلة واحدة.. وهي آخر موجة من موجات الفن الحديث. وقد وجدوا لها إسماً.. أطلقوا عليها (الهابيننج).. أو الحدوث.. مدرسة اللوحة التي تصنع نفسها أمام الجمهور.. وهي مدرسة مثيرة جاءت من أمريكا لتجد لها صدى في إنجلترا.. وتغزو فرنسا.. يتزعمها مجموعة من الفنانين معظمهم من التجريديين. وقال إنطوان بيدو ـ واحد من كبار وأصحاب صالات العرض في سان جرمان:

ـ إنها فكرة ماكرة واقتصادية بلا شك.. إنها توفر للفنان إيجار إسبوع!.

وهي بالنسبة للجمهور فرصة لمشاهدة «خلق» العمل الفني.. وهي متعة تداعب غروره عندما يقتني لوحة يعلقها في منزله ويقول لزواره في فخر:

ـ لقد شاهدت بعيني الفنان وهو يرسمها!.

وإذا كانت مدرسة «الهايبننج» الجديدة.. التي تفخر بأنها أجدد صور الفن التشكيلي.. فهي ليست أول من ابتدع هذا الاكتشاف النفساني.. وهي ليست أيضاً اختراعاً من اختراعات الشباب..

لقد شاهدت فناناً عجوزاً منذ سنوات، يقف على ضفة السين.. فارداً لوحاته.. وعلى الحامل صورة كبيرة للنهر الرمادي.. والقوارب تتوسطه، وفي

الخلفية يطل برج كنيسة نوتردام غارقاً في الضباب . . وكانت اللوحة منتهية تماماً . . وقد جفت ألوانها منذ أسابيع . . ولاحظت أن الفنان كان يعمد ـ كلما مر به أحد السياح ـ أن يضيف بعض اللمسات الجديدة . . كأنه لا زال يعمل . . ووقفت على مقربة انظر ـ وبعد ساعة وقفت إمرأة عجوز يبدو عليها حب الفن . . تتأمل الفنان وهو يرسم ، والتفت هو يرمقها في صمت ثم عاود رسمه في حماس متضاعف . .

وانتهت الصورة ـ المنتهية من قبل ـ والاعجاب مطبوع على ملامح العجوز . . وتنحني تسأل الرسام كم ثمنها . . وتم لاتفاق . . والمرأة تحمل اللوحة في رفق . . وإعجاب . . على مقهى صغير . . جلس الرسام أمام زجاجة نبيذ اشتراها إحتفالاً بالمناسبة ، ويحدثني : ـ

ـ لقد اكتشفت أن الجمهور يقبل على مشاهدة العملية الفنية . . بينما يمر بلا مبالاة أمام الصور المنتهية . .

ومن هنا فكر في هذا الاسلوب . . لجذب أنظار المتفرجين . . والمسألة لا تختلف كثيراً عن هذه المدرسة الجديدة التي تحول العمل الفني إلى ما يشبه الاستعراض المسرحي . .

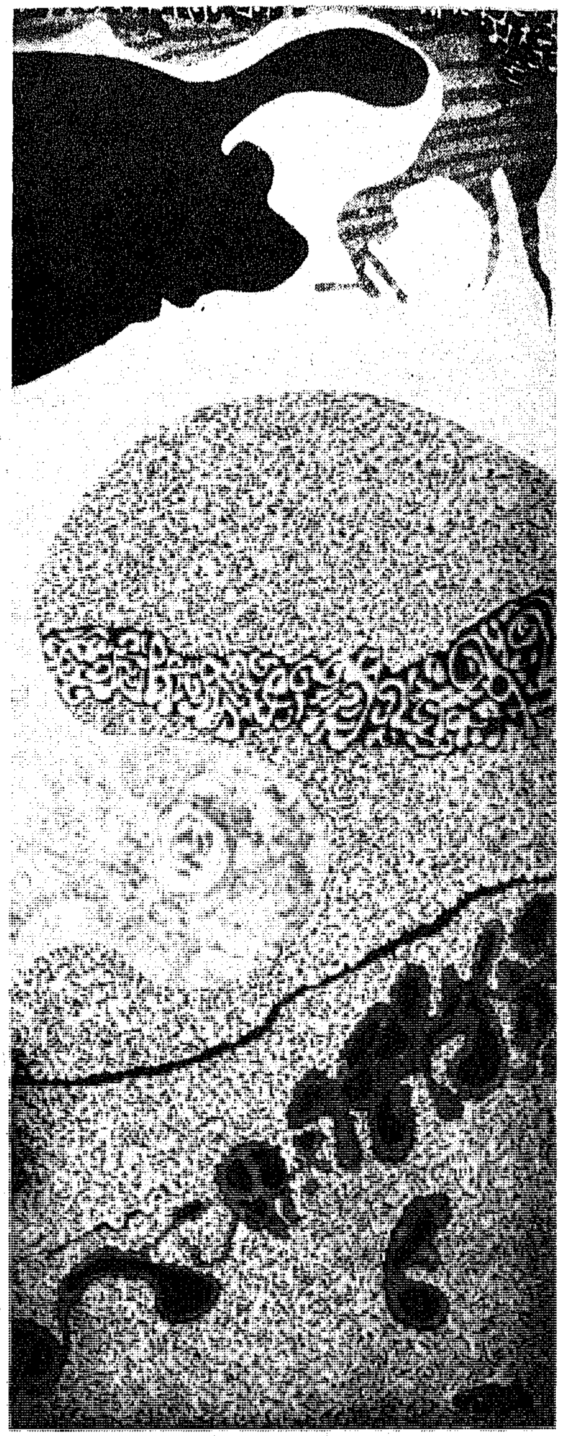
وقال لي مارفن أحد الفنانين الشبان زعماء هذه الموجة الجديدة :

ـ لافرق بين راقص بالية وفنان . . كل منهما يكمل عمله الفني أمام الجمهور . .

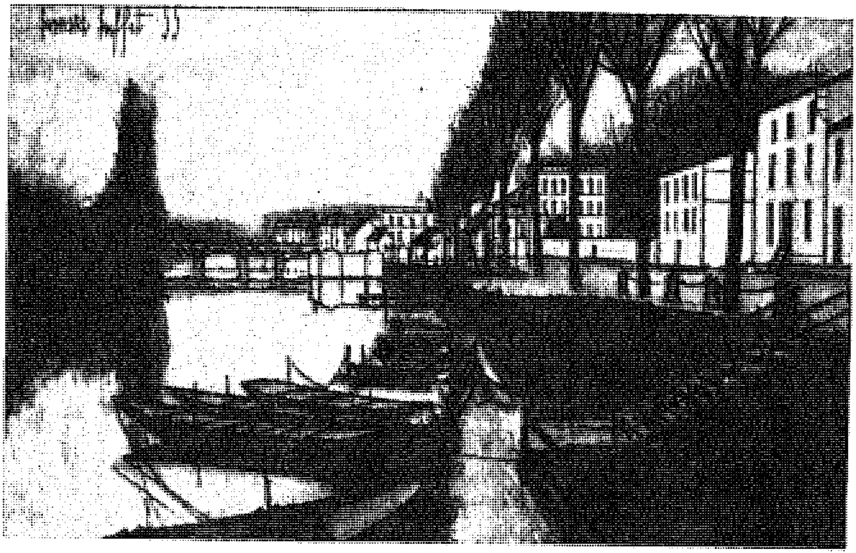
وقال فنان آخر . .

ـ لماذا نحرم الجمهور من أحلى عناصر الفن . . عملية الرسم نفسها وما فيها من إنفعال داخلي أن الهابيننج لقاء فريد بين «قلب اللوحة» وقلب الفنان» .

ويقول فنان ثالث . .



الفن التجريدي يبحث عن أشكاله
الجديدة في تطورات عصرية
باللون والخط.

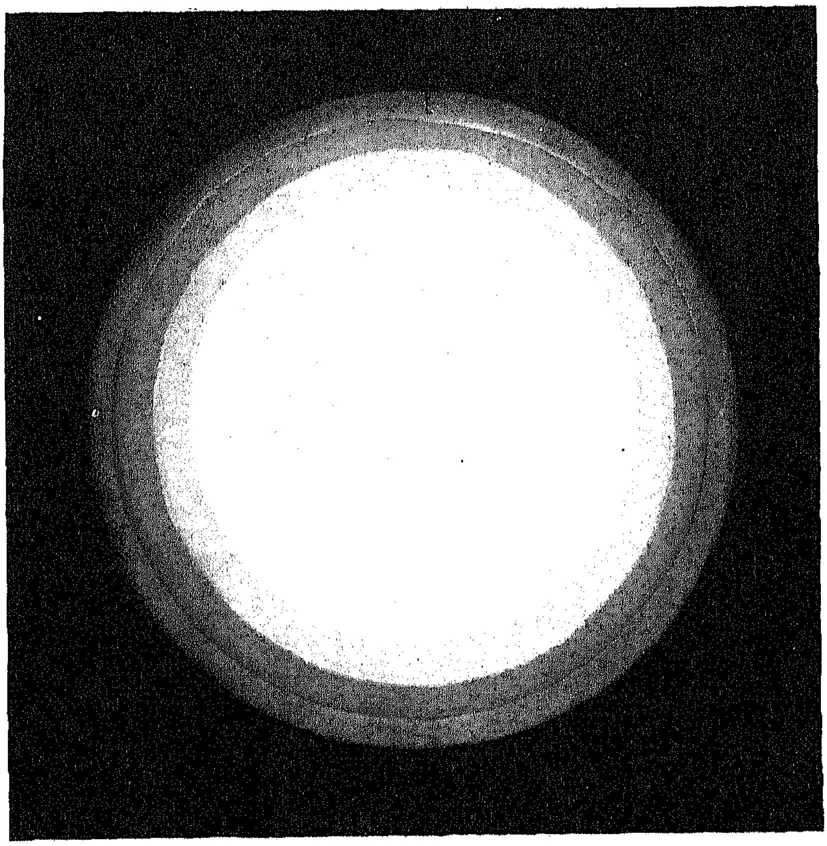


نموذج ممتاز لطموح الشباب . . طالبة في كمبردج ومربية أطفال. وعارضة أزياء . . وفتاة غلاف . . ورسامة!

بعد رحلة من هولندا إلى سويسرا . . ثم باريس ولندن . . تعرض هلجا وميري آخر لوحاتهما!

على قارعة الطريق، وقف الفنان الشاب وجلست «الموديل»، ويتم الرسم في دقائق قبل أن تستأنف الكسير . .

نموذج الجمال العصري قد تغير، وأصبحت الشابة الطويلة ذات الميني جوب هي جيوكوندة الشباب!



لوحة تجريدية لأيفون هيتشنس ورغبة حقيقية في تحطيم كل تقاليد الفن.

الفنان الفرنسي «كارزو» وخيالات لحرب . . وطائرات تغادر الأرض . . وتنطلق . . إلى أين؟!

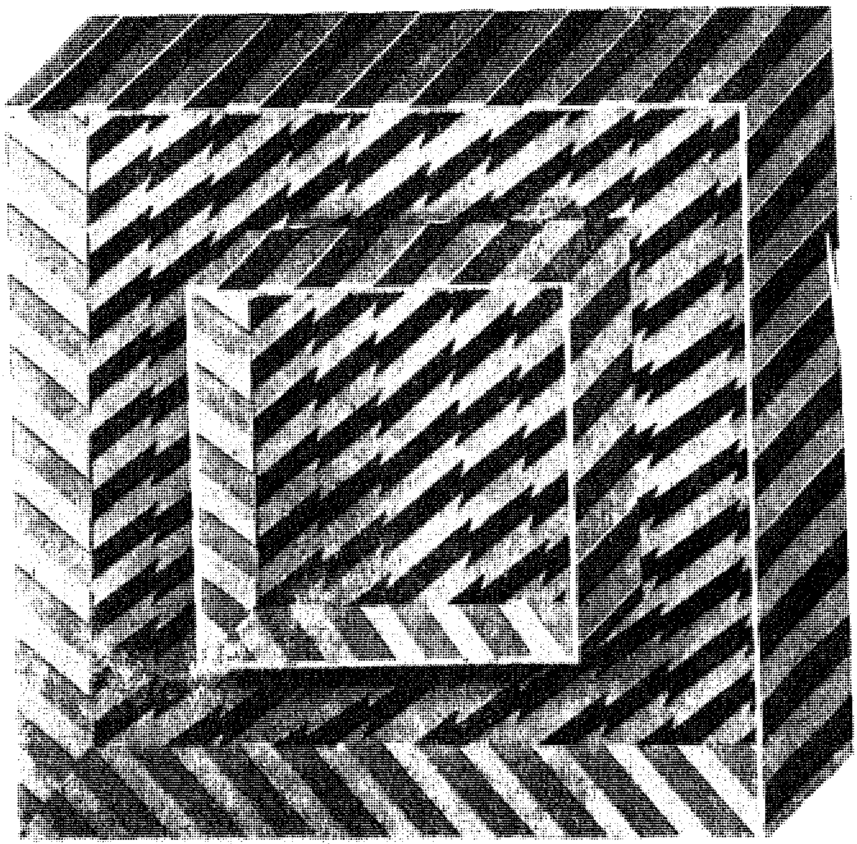




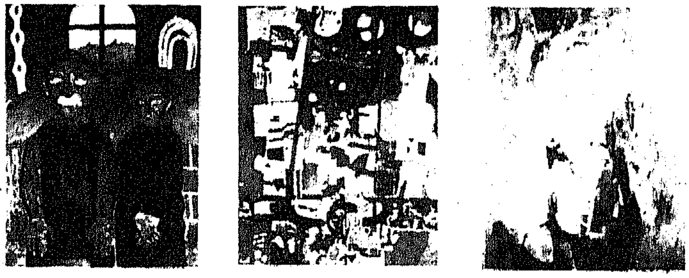


عالم الفضاء . . ورواده أبطال الغد في لوحات شباب اليوم.

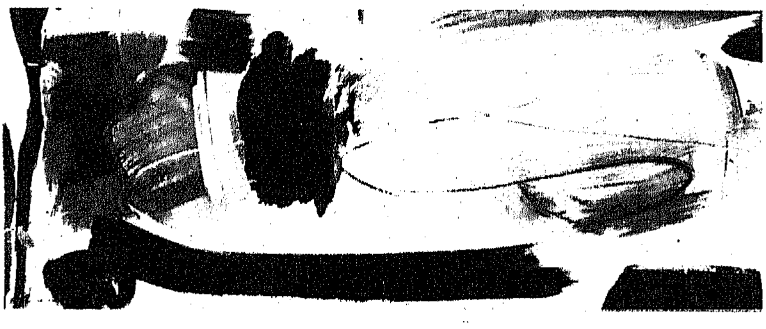
على الأرض يحاول الفنان العصري أن «يجرد» حتى الواقع.



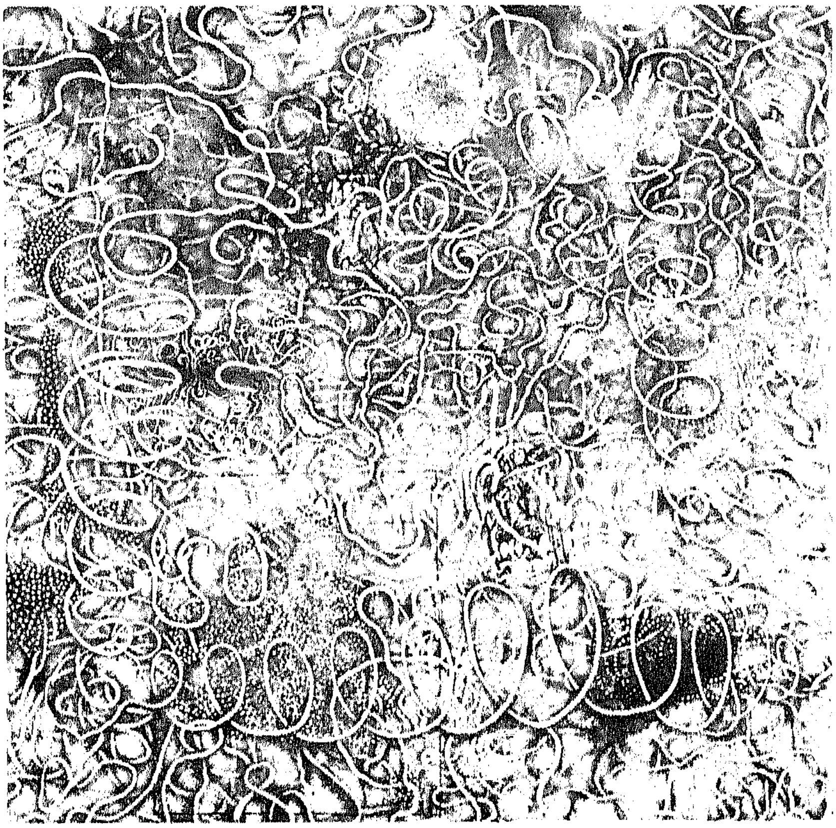
في خداع البصر، يجهد الفنان العصري نفسه لإيهام المتفرج بحجوم كاذبة!



ثلاث لوحات نلمح فيها إنطلاق فنان اليوم إلى مجهول، وضيقه من الأرض الممزقة التي يعيش عليها، مع أب وأم في وجوم ضامت كظلال شاحبة امجد زال.



بعض اللوحات الحديثة، تكشف رغبة الشباب في الهروب إلى عالم اخر.. والبحث عن شمس جديدة!



عالم اليوم «متاهة» في نظر الفنان الحديث يحاول أن يهرب منها . .



الفن التجريدي يبحث عن أشكاله الجديدة في تطورات عصرية باللون والخط.

ـ إن اللوحة الكاملة في المعرض لوحة واحدة. . أما اللوحة التي يرسمها الفنان أمام الجمهور فهي سلسلة من اللوحات تتشكل في شريط واحد خلال عمل واحد. .

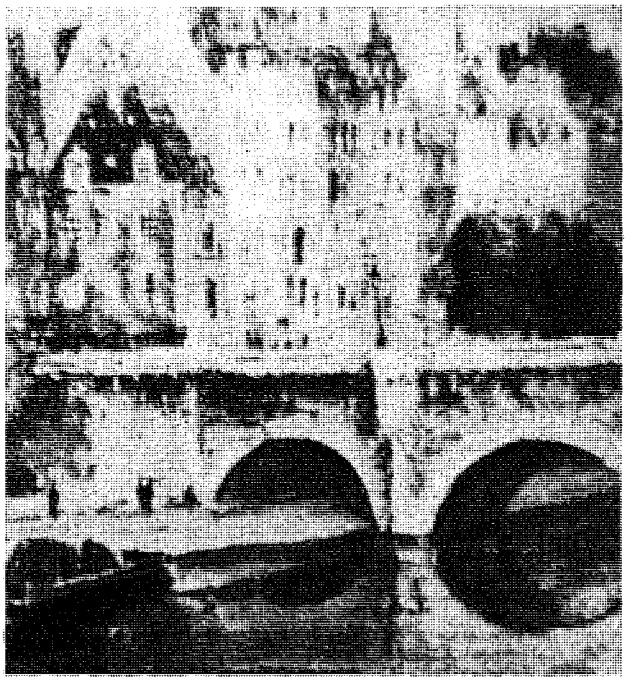
ومرة أخرى هذا التحليل ليس جديداً. . وقد قدمه بيكاسو في تجربة عملية. . عندما رسم أمام كاميرا السينما. من خلف لوح زجاجي لتلتقط الكاميرا كل المراحل التشكيلية من اللحظة التي ولد فيها أول خط. . إلى اللحظة التي تراجع فيها الفنان من وراء العمل يتنفس الصعداء ويسمح عرقه!.

والذين يهاجمون المدرسة الجديدة بقولون أنه لا يمكن أن ينتهي فنان أصيل من لوحة ذات قيمة فنية كبيرة في جلسة واحدة. . بل أحياناً في ساعة. .

والذين يقفون في صف الجديد، بقولون. . لا يعيب الفنان أن ينهي لوحته في خمس دقائق. . طالما يجمع في هذه الدقائق الخمس خبرات طويلة. .



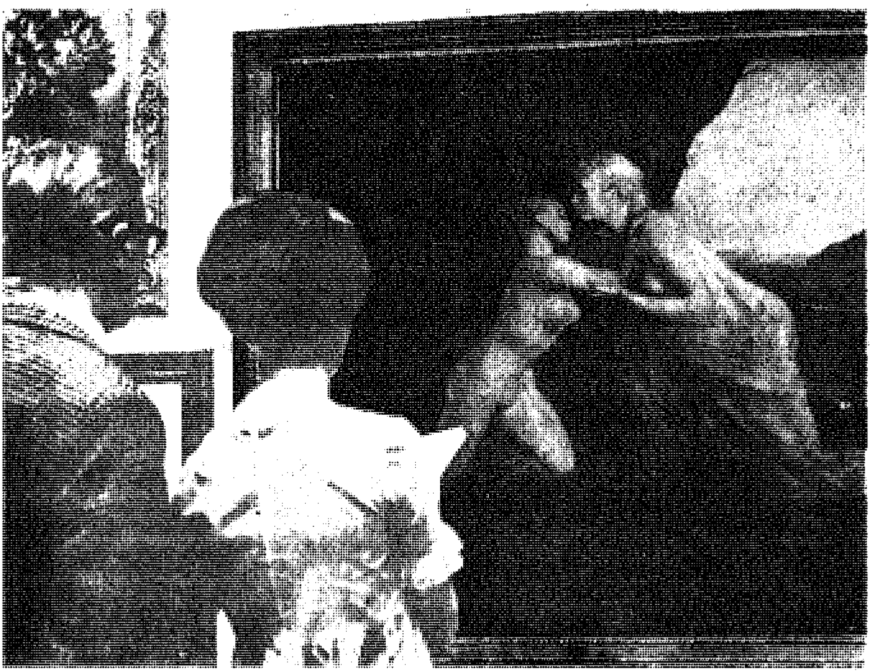
اللوحات تجد لها مكاناً على سور هايدبارك!



درسة التأثيرية. . لا زالت تحتفظ
اعريتها وحبها للألوان الحساسة. .
ن جمهورها ينقرض في أوروبا. .

والحوار يتصل. . وهو كما ينعقد حول «الهابيننج» ينعقد أيضاً حول عشرات المدارس الجديدة. . التي تتصارع يعنف لتثبيت وجودها وإقناع العالم بأن فنان اليوم بوسعه أن يضيف جديداً للفن.

ويثير هذا الصراع الكثير من الغبار. . ويتكاثف الغبار، لتضيع فيه الرؤية. . والحيرة تقتل كل من يريد أن يصل إلى جوهر المعرفة الفنية. . فأي ميزان يزن به الإنسان فن اليوم؟. . وبأي مقياس تقاس مقدرة الفنان وأصالته؟. . فكما اختلفت المدارس والأساليب وكما يتصارع الفنان مع زميله كل يريد أن يكتشف لنفسه أرضاً جديدة يقف عليها. . كذلك يختلف النقاد. . والضوء الذي يستطيع ناقد متفهم مثل «هربرت ريد» أو «رينيه ويج» أن يلقيه ليكشف حقيقة العمل الفني. . تطارده ظلال لا حد لها وقد كبر عدد المشتغلين في العالم بالنقد. . واختلفت وجهات نظرهم.



لوحات المتاحف تحتفظ باهتمام الجمهور الجاد فقط ..

والقضية قبل أن تكون «حقيقة الهابيننج» هي أولاً وفي بساطة.. هل هو فن أو لا فن.. ولكن هذا «التجريد» للمشكلة يزيدها تعقيداً..

إن ظروف فنان اليوم، غير ظروف فنان الأمس.. والعالم يتغير كل يوم.. والعلم ارتفع بالإنسان وبين يوم وليلة أوصله إلى القمر.. ولأن الفنان يسبق زمنه.. فهو يقف الآن على سطح القمر ليرسم.. وقد يكون هذا هو سبب ابتعاده عن الناس.. وقد يكون السبب أن «داخل» الفنان نفسه قد تغير.. موازينه تغيرت.. إحساسه تغير.. نظرته إلى الناس والعالم لم تعد مثل نظرة من سبقوه.. لقد مر من حروب.. وعانى عقد العالم الاجتماعية والنفسية.. وهذه الرحلة الشاقة لا بد أن تغيره.. ولا يمكن أن نطلبَ من فنان اليوم أن يقدم لنا لمحة من هذا التراث الضخم الذي يعيش في «اللوفر» أو «التيت جاليري»..

لماذا؟

إن الدين حرك مشاعر الفنان الكلاسيكي.. ورقد من أجله «ميكل أنجلو» على ظهره ليرسم قديسي كنيسة السكستين.. وصارع من أجله غرائزه ونفسه.. لم يعد يحرك الفنان الشاب في المرتبة الأولى..

إن عدد الملحدين في الفناني الشبان الذين التقيت بهم يزداد في أوروبا..

الظروف الاجتماعية التي كان الفنان يرسم فيها أيضاً تغيرت..

على الفنان في أوروبا أن يحارب في اتجاهين ليعيش..

عليه أن يشق طريقه، ويقف وسط المجموع.. فليس من السهل أن يجد واحد من ٢٠٠٠ فنان في باريس وحدها ظروف العمل والشهرة متوافرة تماماً..

وليس من السهل أن يجد هذا العدد الضخم من الفنانين الظروف المواتية التي توفر لهم دخلاً لحياة معقولة.. والمعارض التي تصل إلى ٢٠٠ صالة

يسيطر عليها ـ أو معظمها ـ تجار جشعون . . عليهم أن يضمنوا مكسبهم قبل التعاقد مع أي فنان . .

وفي نفس الوقت على الفنان أن يلهث وراء هذا العالم المتغير . . الذي يتغير فيه أولاً وقبل أي شيء آخر الفن التشكيلي . . فهو فن حساس قابل للانفعال والتأثر بالفنون الأخرى . . الأدب . . الشعر . . الموسيقى . . والآن المسرح والسينما . .

في لندن . . وفي «التيت جاليري» شاهدت آخر معرض تجمعت فيه أعمال الفنانين الانجليز الشبان . . زعماء الحركة الجديدة في الفن التشكيلي . .

جمهور المعارض لازال غالبيته من الذين تجاوزوا الأربعين!



وأثـر السينما تجـاوز كـل الحـدود المعقـولـة . . بعض اللوحـات تكـاد تكـون كالاعلانات . . والبعض الآخر يشبه إلى حد بعيـد جداراً وردياً في حجرة نـوم مراهقة جمعت عليه كل صور ممثليها المفضلين . .

ولوحة أخرى لم تكن أكثر من تجميع لعشرات الصور الفوتوغرافية لنفس الممثلة . . ثم تلوين أجزاء . . وتغيير أو «شطب» أجزاء أخرى . .

هـل المســألـة البحث عن الجـديـد فعـلاً؟ أم هي وسيلة لاكتشــاف الأسهل . . ؟

هـل أراد فنان اليوم أن يختصر على نفسه الطريق؟ . فهرب من العناية، والجهد المتصل . والمضمون والفكر إلى «صيحة» عالية تخطف السمع والبصر لحظة في مناورة بارعة . . وتنحسر في النهاية عن لا شيء . .

كنت أقف أمام لوحة ضخمة في التيت جاليري . . مجرد مساحة حمراء . . لا معنى لها ولا روح؟

كيف وجدت هذه اللوحة لنفسها هذا المكان الخالد . . كيف تنـام تحت نفس السقف الذي يضم الأعمال الخالدة . . ؟

وكيف يحمل دليل المعرض إسم الفنان الذي رسمها إلى جانب «ليوناردو دافنشي» و «فان جوخ» . . وجوجان . . ولوترك . . وبيكاسو . . ؟

وهـو نفس الأمـر العجيب الـذي يتكـرر في متحف الفن الحـديث في باريس . . ويعرض لوحات تفشل حتى في إثارة التساؤل . . ؟

والإنسان لا بد أن يسبح به الفكر أمام هذه الاسئلة إلى «ليوناردو دافنشي» الذي ظل مخلصاً لعمل فني واحـد، يرسم المـرأة التي أحبها لخمس سنـوات متتالية، يحيـطها بـالرعـاية ويمـلأ أسماعهـا بالمـوسيقى، لترتعش شفتـاها في ابتسامة . . يحولها الفنان إلى إسطورة إعجاز تنبض باللون . . تلهم الشعراء على



تأثير «هنري مور» النحات الانجليزي . . صبغ بلمساته النحت الانجليزي المعاصر .

مدى الأعوام. . ويقف العشاق أمامها في صف طويل. . ويحيط بها الحراس. . ويـأتي الزوار من أنحـاء العالم ويـزورون اللوفر من أجلهـا. . مـونـاليـزا. . أو «الجيوكوندة» اللوحة الصغيرة التي لا تقدر اليوم بثمن. لقد أجمع كل نقاد العالم إنها «أكمل» عمل كلاسيكي أبدعته ريشة فنان. .

أما دافنشي نفسه فإنه كان يعتبرها لوحـة ناقصـة لا زالت في حاجـة إلى المزيد!!

«فان جوخ». . الـرسـام الـذي طـارد الشمس ليـرسمهـا. . في حقـول القمح. . وتحت سماء باريس. . وضاعت حياته. . وضاع عقله في هذا البحث المضني. . من أجل تحقيق فكره ملحة. . كان يعتقد أنها الـطريق إلى جوهـر الفن. . وإلى «الحقيقة». .

جوجان الذي ترك أسرته. . زوجته وأولاده. . وسافر إلى تاهيتي باحثاً عن الجمال بكر لم تلوثه المدينـة. . صنع ألـوانه من ألـون الزهـر البري، وغمس فرشاته في ماء البحيرات. . وكرس حياته راكعاً أمام الطبيعة. .

ويموت في النهاية، وحيداً، مريضاً، في كوخ حقير. . ويترك للعالم كنـزاً من الفن لم يعرف هو نفسه قدره.

«تولوز لوترك» الذي وقف بقامته القصيرة، يقاوم عقدة. . ويعاني سخريـة معاصريه. . ويترك للعالم ـ وهو التعيس ـ لوحات تنبض بإشراقة الجمال وتبعث السعادة في قلب المتفرج. .

وبيكاسو الذي أنجز في حياته، مـالا يستطيـع إنجازه معهـد كامـل للفن التشكيلي. . ويبتدع عشرات المدارس يتركها مفتوحة لغيره. . لواصلوا خلالها الطريق الجديد. .

و. . عشرات العظماء الآخرين. . كيف نقبل بسهولة أن تقفز أسماء جاك وبريفير وروبرت ونادير وآخرين من المجهـولين لتنازعهم الـوجود والشهـرة من

خلال أعماق بلا أعماق. بلا جهد؟

إن أزمة الفن الحقيقي. . ليست الجري وراء الموضة أو التقاليع. . أو محاولة التطاول على القديم؟. .

ولكن الأزمة الحقيقية تكمن داخل الفنان الذي يريد أن يصنع فناً سهلاً. . فناً بلا ألم وبلا معاناة أو ببساطة بلا قلب وبلا أعماق.

وهنا يخطو فوق العنصر الإنساني. . ويخطو فوق التقاليد الفنية. . ويخطو فوق الإحساس العميق. . ويخطو حتى فوق نفسه في سبيل أن يجد لنفسه مكاناً في «السباق» إلى تجاوز التجريد نحو تجريد للتجريد ثم يطلق الفنان قذائف الألوان على اللوحة الخالية ويسمى ذلك Action Painting ويخترع أسلوب الرسم تحت تأثير المخدر ويسمى ذلك فن «البسيكوديليك»!

لا يمكن أن نصنع فناً بلا ألم حقيقي وبلا معاناة. . ويقدر ما في الفن الذي نقدمه من جهد وعرق. . بقدر ما يستطيع هذا الفن أن يعيش وأن يخلد. .

لذلك فالمسألة ليست صغر سن الفنان وتجربته. . وليست حداثة سنه. . وإنما حداثة فهمه للفن وتعبيره له. .

وفي سان جرمان. . حاول «دنكان» أن يقول كلمته في هذا المجال. . أراد أن يربط الفن بالمعاناة الحقيقية. . بالعذاب والزهد. . أراد أن يحول الفن إلى نوع من العبادة والتنسك. . ارتدى ما يشبه الملابس التي كان يرتديها غاندي. . نسجها بنفسه. . وجمع حوله تلاميذه الفنانين. . يعود بهم وبالفن إلى الطبيعة ـ إلى الإنسان. . إلى الضمير. . وإلى الوجود. .

كون أول معهد له في ١٩١١ وسماه «الأكاديميا». . والتقى حوله المؤمنون بأن الفن يجب أن يظل بعيداً عن البريق الزائف. . عن لمحات المجد الفني السريع. . فالفن عند دنكان مثل الثوب الذي أرتداه ومات به. . ثوب نسجه بيده. . وصنعه في صبر وأناه أياماً وليالي متصلة.

أراد دنكان أن يضرب مثلاً للكبار والصغار معاً . .

لقد مات دنكان . . ومعهده . . يتوسط صالات سان جرمان . . وتلاميذه الشبان يرتدون نفس الملابس البسيطة المنسوجة بالزهد . . وعلى بعد خطوات . . وفي صالة مقابلة . . تعرض صالة ضيقة آخر أعمال لفنان استرالي شاب نزح إلى باريس ليعرض مزيجاً من لوحاته الخالية من أي معنى ومن أي جهد . . والتي ضمن لها الجمهور بأن دهن صالات المعرض باللون الأسود وتركها تواجه المتفرج بألوان صارخة عفوية تتحدى العين!

أي تعارض!!

وعندما التقى مع الفنان . . ونتحدث على مدى ساعات . . وتزداد بيننا الألفة . . ويقل في ألم : ـ

ـ ماذا أصنع . . على أن أساير الموجة ، أنا في الواقع بعيد تماماً عما أقدمه هنا .

«إذا أراد فنان اليوم أن يصنع فناً عظيماً فعليه أن يتألم «فالألم هو الأساس عندي» . . وهي جملة قالتها لي في لقائي معها الكاتبة الفرنسية المعروفة «كريستيان روشفور» وكريستيان . شهرتها الآن تسبق ساجان . . وقد بدأت قبل الكتابة في محاولات متعددة في فن النحت .

وفي منزلها في بلفيل . . شاهدت تماثيلها . . وسألتها . .

لماذاا لاتستمرين في النحت . . وقالت . .

ـ إن النحت يحتاج إلى معاناة كبيرة . . وأنا لا أجد الفرصة أو الوقت لهذه المعاناة . إن المعاناة الفنية التي أبذلها في التأليف تستنفذ كل جهدي . . وأنا أدهش لهذا العدد من الفنانين الشبان الذي يعرضون مئات اللوحات والتماثيل كل يوم . . متى صنعوها وكيف؟ .



اختفى الرسم من ديكورات الباليه . . وأصبحت الخلفية مجرد مساحات بسيطة .

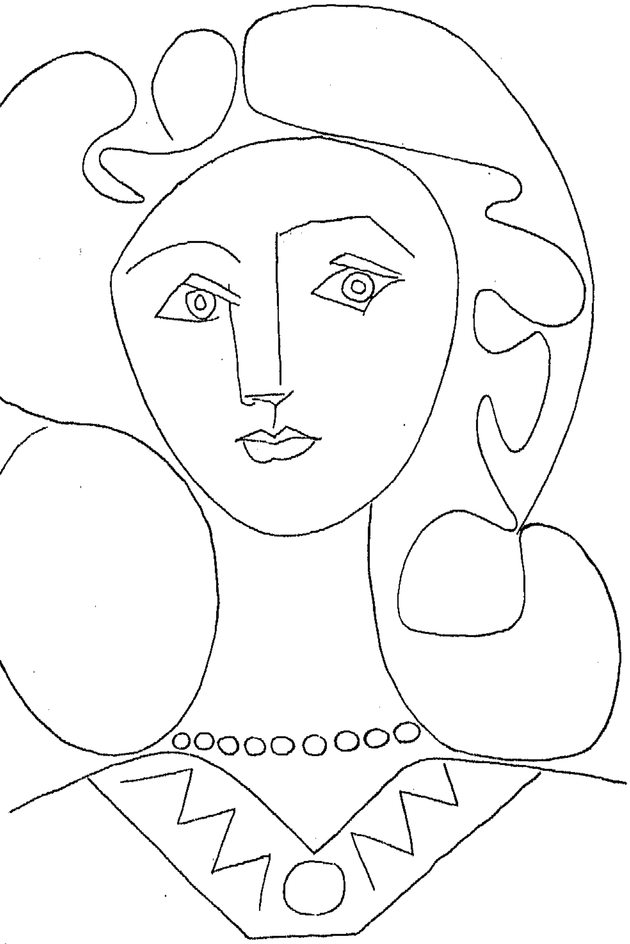
لقداكتشفت كريستيان أنها لا تستطيع أن تعطي نفسها للأدب والفن معاً، هي المتفرغة للفن.. والمزودة بتجربة طويلة في الحياة.. وتمرسة بخبرات متعددة. إنها تقول لي عن قطها الذي لا يسمع ومع ذلك يفهم بمجرد الإشارة:

ـ إنظر إلى القط المسكين إنه لا يسمع.. وهذه المعاناة.. تجعله حساساً.. يفهم بالإشارة، لو كان إنساناً لأصبح فناناً هو الآخر..»

وقط كريستيان روشفور.. الراقد بين الأغصان والأوراق الميتة في حديقتها.. عندها مثل لوترك القزم وفان جوخ المجنون الذي لم يفهم من حوله.. إنه قط صغير.. ولكنه ناضج لأنه ذاق الألم.. وعانى مرارته..

إن آلام الفنان الشاب ومعاناته هي التي تصهر فنه، وتنضج حواسه.. ومن خلال آلامه ومعاناته يتبلور اتجاهه الفني.. ويخرج الفن حياً ناضجاً مختلطاً بألوان ونبضات القلب..

ولكن لأن المعاناة تمر كالنسيم في نفسية فنان اليوم الذي يسخر من العواطف.. ومن المجتمع.. ومن الألم نفسه.. لن تظهر من خلال اللوحات العصرية لوحة مشحونة بالقيم، تتحدى الزمن إلا في القليل النادر.. وستظل التماثيل.. هشة.. جوفاء.. لأنها لا تستمد كيانها من أعماق خبيرة.. إن الوصول إلى قلب اللوحة لا طريق له إلا قلب الفنان.



إمرأة بيكاسو.. ترى هل ير مها على الرصيف لو اضطر الأمر؟!



لوحة بألوان الطباشير على الرصيف.. لفنان فشل في إيجاد صالة عرض.. فاختار جمهور الطريق.. وهو على حد قوله جمهور أكبر من جمهور معارض بيكاسو!

لا يمكن أن يكون هناك أربعة في العالم أثروا في أوروبا مثل خنافس الغناء الانجليزي.. «بول.. رينجو.. جورج.. وجون» بل أثرهم تجاوز الحدود الجغرافية ليصبح مؤثراً في قارتين.. أوروبا وأمريكا أيضاً.

فليست معجزة الخنافس، أنهم استطاعوا أن يقنعوا ملكة بريطانيا بمنحهم أوسمة «أعضاء الامبراطورية البريطانية» لفتها حول أعناقهم بنفسها. ليختالوا بعدها بزهرة الزنبق والأشرطة الوردية والرمادية.

وليست معجزتهم في الدخل الهائل، الذي أدخلوه إلى بلادهم من رحلاتهم واسطواناتهم.. وخاصة أمريكا التي بلغت فيها أرباح حفلتهم.. ٣٥٠,٠٠٠ جنيه بواقع ٣٥٠ جنيهاً للدقيقة الواحدة.. وهو أقصى نجاح مادي عرفته فرقة غناء.

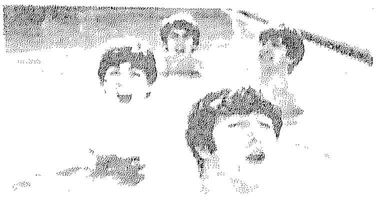
وليست معجزتهم أنهم علموا أنفسهم العزف والغناء وهم يستطيعون قراءة النوتة.. بينما أصواتهم من النوع الضعيف.. بل والمريض.

وليست معجزتهم أنهم تسلقوا على درجات الشهرة في أسرع وقت ممكن.. وإنما معجزتهم الحقيقية للانقلاب الهائل الذي أوجدوه في الذوق



وجه من وجوه الخنافس يتحول إلى إعلان ضخم في بيوت الشباب.





الأميرة البريطانية مارجريت ترحب بالخنافس الأربعة

الغناء حتى في حمام السباحة.

فرسان العصر الحديث وأوسمة الملكة



الخنافس من المكسيك.. وخنافس من أوستراليا.. وفتاة من لندن وفتاة من باريس.. فمجتمع الخنافس يحمل كل الملامح..



العام الذي أورثوه لأوروبا والتأثير السحري في حواس شبابها.. وعلى أسماعهم وأبصارهم وعواطفهم أيضاً..

فإلى جانب نشر موضة الشعر الطويل بين شباب العالم.. غيروا أذواقهم تجاه الألوان.. فأصبحت الألوان البنفسجية والحمراء.. والورود الملونة هي الصيحة، التي يجري وراءها الشبان ويختارونها لقمصانهم وأربطة عنقهم.

وأصبحت الألحان الصاخبة التي تنطلق من الجيتار الكهربائي.. والحناجر فيها يطلقون عليه «يي.. يي» هي التي تحركهم طرباً.. وأصبحت الكلمات التي يؤلفها غالباً الخنافس لأنفسهم.. مثل «النجدة». وليلة يوم شاق» It is a hard day's night هي الكلمات التي يحفظها الجنسان، ويرددونها في منتدياتهم وأوقات فراغهم. بل وفي كل وقت..

* وكيف استطاع هؤلاء الأربعة، أن يضعوا أيديهم على خاتم سليمان العصر الحديث.. الذي أوصلهم في سنوات معدودة إلى قلوب العالم وحولهم



حتى مظهر الكبار تأثر بشكل الخنافس!

في يوم وليلة من شباب صفر الوجوه يتضورون جوعاً . . إلى أربعة من أشهر شخصيات العالم الحديث . . يتناولون الطعام في مكسيم . . ويسافرون بطائرات خاصة ولا يتحركون إلا «بالرولزرويس» .

* والخنافس يصرحون للصحفيين . . في تواضع : -

إن سر نجاحنا يتركز في الحرمان . .

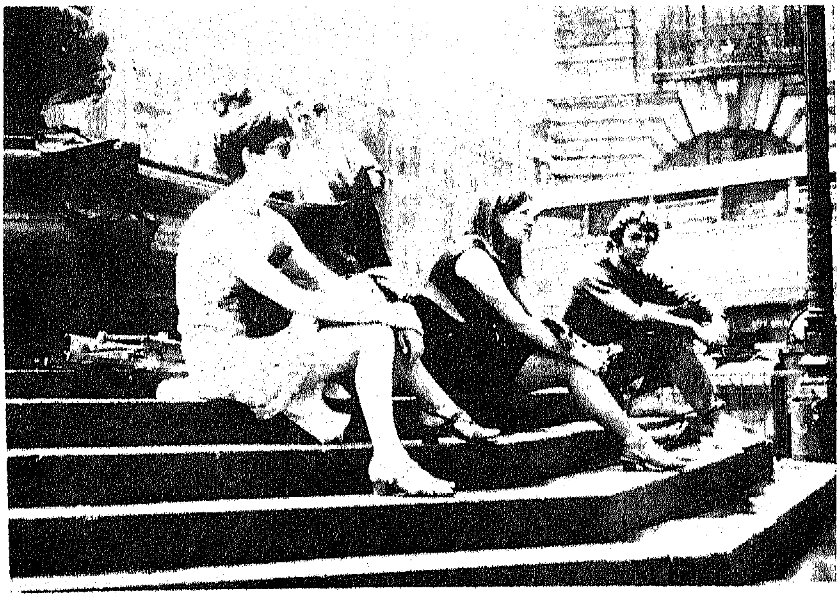
ويتحدث الأربعة في أسهاب عن آبائهم الذين ماتوا وتركوهم فريسة للألم والحرمان في سني الطفولة المبكرة .

وهي أسباب مؤثرة عندما تروى في جريدة . . ولكنها ليست مقنعة تماماً . . فمئات الشبان والشابات مروا من نفس الظروف ولم يصلوا إلى أي شيء وفشلوا حتى في كتابة مذكراتهم .

ولكن الحقيقة أن هؤلاء الأربعة - رغم شبابهم - غاية في الذكاء . . بل أن ذكاءهم يفوق ذكاء مكتشفهم الذي مات معدماً . . بينما أرصدتهم في البنك تتضخم ! !

لقد نبتوا من وسط الشباب وفهموا في بساطة أن عصر بيتهوفن وموزار قد انقضى و«فالسات» شتراوس لا تعزف إلا في الأفلام التاريخية . . ولا بد من موسيقى جديدة تتناسب مع ملل العالم من القديم وميله إلى موسيقى عنيفة . . تنطلق فيها الحيوية بلا قيود وتصرخ العواطف بلا سلاسل . . موسيقى جديدة في تركيبها جديدة في إسلوبها وكلماتها . وقد خلق «الخنافس» ما خاف غيرهم من صنعه . . وصنعوا للشباب الألحان التي تترجم حالتهم النفسية . . قلقهم . . خوفهم . . صخبهم . . حفلات «الخنافس» يصرخ فيها الشباب . . ويمزقون قمصانهم طرباً . . وتنهار الفتيات تأثراً .

وأفلاهم يرابط الجمهور أمام دور العرض في انتظارها في صفوف الحجز الطويلة . . والنجاح يرتفع بهم . . ويشتري الجمهور البريطاني أسهم مؤسستهم



في الميدان موسيقى الخنافس تنبعث من محل مجاور.. ويستمع الشباب في إنسجام.

الموسيقية التي تبلغ ١,٢٥٠,٠٠٠ سهم بما يبلغ ٥٤ مليون دولار.

ويتحدث عنهم المؤرخ الشهير «مايكل براون» في إعجاب وإسهاب في كتاب كبير نفدت منه في أول يوم صدوره ١٥٠ الف نسخة، وفي أوروبا كانت صور الخنافس تحتل كل مكان.. وحضرت مرة شجاراً عنيفاً ـ استخدمت فيه الكراسي والأيدي والأكواب في ناد ليل ـ لأن أحد الحاضرين وجد من الشجاعة أن يقول بصوت مرتفع أن أغنية Help لا تعجبه.

سألت ذات مرة شابة ترتدي فستاناً يحمل صورة الخنافس عن رأيها فيهم.. ولم ترد.. وإنما تنهدت في حرارة بليغة لا تحتاج إلى مزيد.

وظهرت محلات خاصة بهم.. ولاسطواناتهم وصورهم.. وانتشرت أقوالهم في المجلات كأنها من الكلمات المأثورة.. وأصبحوا الخبر الأول في كل صفحات الفن في أكبر صحف ومجلات أوروبا وأمريكا بلا استثناء.. ومن بلد إلى بلد.. ومن نجاح إلى نجاح.. ولا بد أن الشهرة أثملتهم. والغرور يتسلل إليهم.. وكان تصريحهم أو تعليقهم الشهير:

«نحن أكثر شهرة من المسيح»

ولم تعجب هذه الكلمات الأخيرة المتدينين.. وارتفعت لأول مرة صيحات الاستنكار.

وسمعت الناس يتحدثون عنهم في لهجة جديدة:

ـ إنها بداية النهاية لهم.

ـ يا لحماقتهم.

ـ إن الغرور سيقتلهم.

ـ ما الذي يظنه هؤلاء المجانين.. إنهم يتطاولون على المسيح.

ـ إن نهايتهم اليمة.. هؤلاء الخنافس.



الشعر الطويل ورثه أبناء أوروبا من الخنافس.

و. . لم تكن الشتائم الفردية هي كل شيء. . فإلى جانب غضب الناس. . والكنيسة. . غضبت الصحافة في بلاد كثيرة. . وهنا تراجع الخنافس بسرعة عن موقفهم. . ومرة أخرى أسعفهم ذكاؤهم.

وفي زيارتي الأخيرة لانجلترا. . كان الخنافس قد شدوا رحالهم إلى الجميلة ميافارو مطلقة فرانك سيناترا التي راحت لتحلق بالحكيم الهندي ماهاراجي صاحب نظرية التأمل وهو أحد رجال اليوجا، اشتهر بكلامه عن نظافة الروح وتصريحاته عن التسامي. . والسعادة الروحية. وفي هذه المناورة البارعة. . كسب الخنافس الأسهم التي فقدوها. . وكتبت عنهم الصحافة من جديد، وعن إيمانهم، وعن بحثهم عن «الهدوء الروحي» وعن «الذات العليا» الخ. .

وبينما هم في الهند. . يتعبدون مع ماهاراجي ويرددون كلماته ـ بأن العالم قد فقد أصالته عندما إتجه إلى العلم تاركاً الإيمان ـ كانت الرسوم والاعلانات تصورهم كالقديسيين، وحولهم هالات من الأضواء إلى جانب ماهاراجي اليوجا الكبير.

ويقيم لهم النحات «دافيد واين» معرضاً لتماثيله التي استوحاها منهم. . ومن موسيقاهم.

ويصبح الطلب الوحيد الذي تريده ماري لويس ملكة جمال البرازيل بعد أن فشلت في مقابلة ملكة بريطانيا هو لقاء الخنافس.

ويتربع الخنافس العرض في ثقة واطمئنان من جديد. . آلهة للغناء وللشباب. . وشخصيات بارزة في المجتمع الانجليزي. . وتهاجم الصحافة زوجاتهم تطلبهن بمراعاة خطوط الموضة. . فلا يليق على حد الجريدة الانجليزية أن تهمل زوجات الخنافس في مظهرهن ويتناسين أنهن زوجات لشخصيات كبيرة ومعروفة.

واليوم لم يعد الخنافس.. شخصيات مرموقة ومعروفة فقط.. وإنما أصبحوا منجماً للرزق لعشرات المصانع التي تخصصت في طبع صورهم وكروت معايدات تحمل توقيعاتهم.. إلى جانب المصانع الأخرى التي ترسم وجوههم على ملابس السيدات.. وقلادات العنق.. بل وحتى الحقائب والأحذية.

وهنا لا بد للعالم أن يقف مبهوراً أمام هذه الأسطورة العصرية للنجاح والشهرة التي تتحرك أمامه وتفرد نفسها بالطول والعرض، وتزداد وتنمو يوماً بعد يوم.. ولاعجب إذن أن يقلد الشباب شكل الخنافس.. وأسلوبهم في الحديث والتصرفات كلما شاهدوها في أفلامهم.

ولا عجب أيضاً أن نراهم يحملون صورهم في محافظ ويعلقونها في بيوتهم ويصنعون منها أحلامهم ويتخذون أصحابها مثلهم الأعلى، فيما يتعلق بالنجاح أو الشهرة أو الفن.

إنها ليست موسيقاهم فقط التي احتلت مشاعرهم، وغيرت أمزجتهم.. وإنما كل ما يحيط بالخنافس من مظهر جديد ومثير مناقض لكل مألوف سابق ومغاير للشكل التقليدي لشباب أوروبا في السنوات التي مضت قبل الحرب.

هل كل من أطلق شعره «وتخنفس» وارتدى القمصان الموردة.. يقف في صف ومستوى الخنافس؟ لا

وهل كل هذا العدد الهائل من الشباب الذي يملأ الشوارع والميادين في نسخ مكررة ومعادة للخنافس الأصيلة يدرك أنه يبتذل نفسه ويرتدي ملابس البلياتشو ليلعب في سيرك القرن العشرين؟

أغلب الظن لا.. فإن تكرار الصور.. وتكرار الوجوه.. والشعر والملابس يفقدها المقدرة على الإثارة أو الإدهاش ومع الوقت تتحول تدريجياً إلى واقع بسيط لا يناقض ولا يشكل أي قضية في أي صورة من الصور.

وإلى أن يـظهر من يسقط عـرش الخنافس. . ويـوجد فنـاً يعادل فنهم أو يفوقه وإلى أن يمل الشباب منهم، ويثـورون عليهم بالـرغبة التي لا تقـاوم في البحث عن جديد. . سيظل الخنافس خالدين في عيون الجيل الحالي. . وفي قلوبهم.

لأن إيقاع أغانيهم متجانس تماماً مع نبض الدماء الحارة في القلب الجديد الذي احتل جسد أوروبا.

قلب السينما

خلال عدة زيارات لمؤتمر كان السينمائي. . شاهدت عدداً هائلاً من الأفلام المنتقاة بعناية من العالم كله. . وهي فرصة نادرة لأن يتعرف الإنسان ـ جالساً على كرسيه ـ على آخر كا وصل إليه الفن السينمائي. . والأهم أن يتعرف على ما يدور في العالم. . فالسينما مرآه حساسة. . لكل من يريد أن يشاهد وجه الحياة وكيف يبدو من بلد إلى بلد. . متى يطل نضراً ونظيفاً. . ومتى يرتدي أقنعة الزيف. . ومتى يتلطخ بالوحل والدماء. .

وكانت أهم ملاحظاتي على المهرجانات الثلاث. . أنه خلال مئات الأفلام التي عرضت. . كان للدم الجديد نصيب الأسد. . وللتجارب السينمائية الجريئة الصدارة الأولى. . إن نبضاً جديداً أيضاً يفرض إيقاعه على الفن السابع. . ويهز تقاليده وجذوره السابقة. . وخلال مئات الشخصيات السينمائيةالتي جاءت إلى المهرجان كان للشباب فيها من الجنسين، صدارة تخطف العين. . أما الأفلام التي لفتت النظروشغلت البال فهي التي تحولت فيها الكاميرا من عين حساسة تلتقط الواقع وتسجله إلى قلب صاخب باسئلة والشكوك والإيحاءات!

وفي ركن من صالة جون كوكتو. . بسراي المهرجان. . كان المخرج

الفرنسي «ريفت» يجيبني على السؤال، الذي أحس أنه يعنيه بعد أن أثار فيلمه «الراهبة» زوبعة.. وصلت إلى تدخل «أندريه مالرو» وزير الثقافة الذي سمح بعرضه للمهرجان فقط: ـ

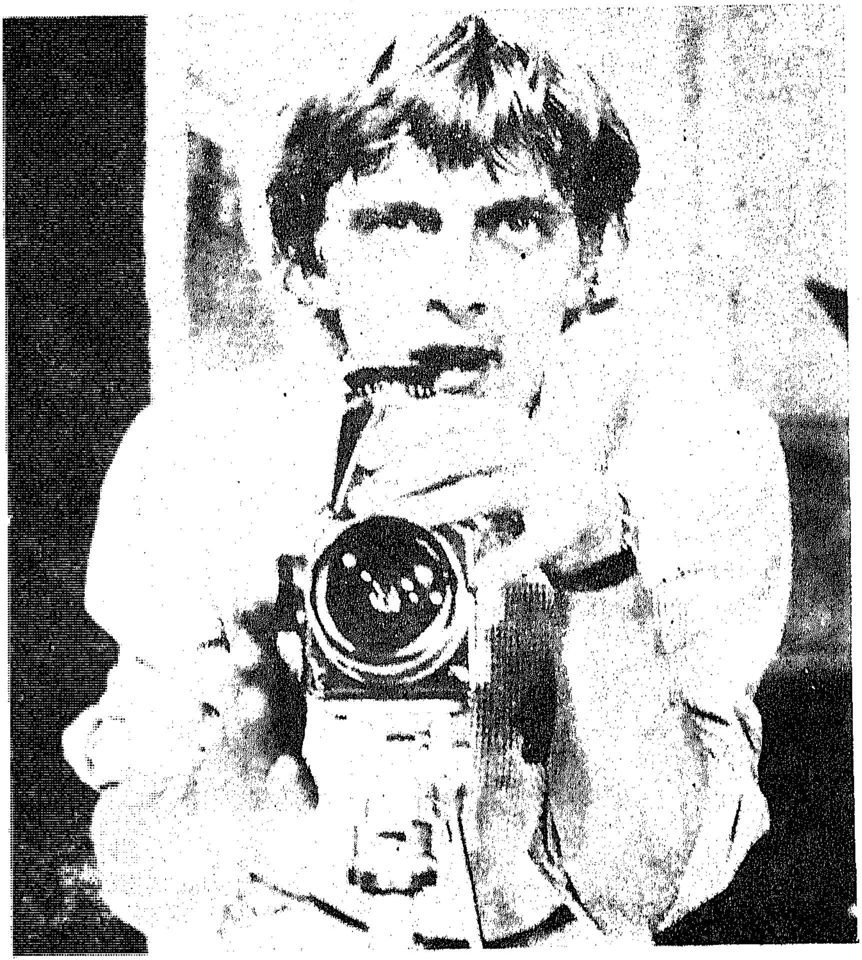
ـ إذا كنت تقصد فيلم «الراهبة».. فهو من الأفلام الأخلاقية.. الموضوع من كتاب «ديديرو» ويعتبر قصة «كلاسيكية».. وهي قصة انحراف لراهبة.. ومديرة دير.. وقد اخترت هذا الموضوع لأعيد الثقة إلى الناس الذين يدينون مجتمع اليوم ويتهمونه بالانحلال.. أنا أريد أن أقول لهم خلال فيلمي.. أن مجتمع اليوم أحسن من مجتمع الأمس».

ونظرت إلى ريفت طويلاً.. أحاول أن أصدق هذا المعنى الذي يقصده.. ولكن وجهه الهادىء وملامحه المنبسطة بلا تعبير، لم تعطني المزيد.. وأدركت أنه قد أراد للمتفرج أن يرى الفيلم بقلبه وهي مسألة صعبة إلى حد بعيد.

وبعد عام كنت التقي بأنطونيوني في نفس الصالة والمناسبة عرض فيلمه «إنفجار» وفوزه بجائزة المهرجان والفيلم كان يلخص في عمق وبراعة، قضية الوجود.. الحيرة. والجري في متاهات الحياة.. والبحث عن الحقيقية والمستقبل. وقد اختار أنطونيوني لندن جواً وأرضية لفيلمه.. وهو اختيار موفق.. والأماكن التي صور فيها مشاهدة. مناسبة تماماً لموضوعه..

بطل الفيلم، مصور فوتوغرافي شاب.. حياته تسير بلا معنى وعمله تصوير «المانيكانات» الجميلات، لمجلة الموضة.. لقد فقد إحساسه بالجمال عندما أدرك ما فيه من صناعة.. تقربه من العين وتبعده عن القلب..

وتجسمت في نفسيته أحاسيس الملل.. إنه يحن إلى المعرفة الحقيقية بما حوله.. يريد أن ينفذ إلى أعماق العالم، ويكتشف حقيقة هذه اللعبة، التي ولد فيها، ولا يعرف إلى أين تقوده.. والفيلم يبدأ بشباب في عربة..



«توماس» بطل إنفجار، شاب ضاق بالفتيات وبالصور التي يلتقطها لمجلات الأزياء وتطلع إلى تصوير الواقع والحقيقة.

يصرخون. . ويلوحون. . وعلى وجوههم «ماسكات» غريبة. . إلى اين؟

وثمة عمال من مصنع. . نقيض غريب. . وبطلنا المصور الشاب يصور الحياة. . يتسلل بالكاميرا. . يسرق المشاهد. . يطل على حياة الناس. . لعله أخيراً يجد إجابة لسؤاله. .

وتقوده الصدف إلى حديقة واسعة. لونها الأخضر يملأ العين والقلب. . لعلها الجنة. . لعلها الحياة. . وهناك رجل وامرأة يتعانقان. . والمصور يلتقط الصور خلسة. . والمرأة تنتبه وتثور. . وتطلب الصور.

وعندما يكبر المصور الصور التي لتقطها يجد في واحدة منها مفاجأة أذهلته. . هناك جثة. . وهناك جريمة. . إن الكاميرا ـ هذه الألة الصماء ـ قد سبقت عينه. . لقد رأت ما لم يره. . ؟

والمرأة تساومه بنفسها. . تعطيه جسدها في مقابل الصورة. . ما مصلحتها في إخفاء الحقيقة. . هل هي شريكة في الجريمة. . ؟

وهذه الجريمة ما سببها. . ولماذا هي مقرونة بالجنس؟

وتنفجر عشرات الأسئلة من خلال المشاهد. . والبطل ينقل حيرته إلى المتفرج. . والصورة تختفي ـ تسرق ـ ولا دليل الآن معه. . وهو يسير مهموماً. . خطواته مثقلة. . ويطل على نفس مجموعة الشبان الذين رآهم في البداية يصرخون ويلوحون مرتدين الأقنعة. . ولكنهم هذه المرة يلعبون «التنس» ويقترب منهم «دافيد همنجس». . البطل المثقل بالهموم. . إنه يقترب منهم باحثاً عن سؤاله. . إن الحياة رفضت أن تعطيه إجابة واضحة.

الجنس لغز. . والجريمة لغز. . والحياة كلها لغز كبير لا يمكن إدراكه بالعين، ولا بالقلب. . والشبان يلعبون في حماس . . بلا كرة. . وينظر إليهم في عجب أولاً. . ثم. . يتابع اللعبة بعينيه. . وتطير الكرة الوهمية. . وتسقط على العشب الأخضر. . وينظرون إليه يلوحون أن يعيدها إليهم. . و. . يخطو



«بيرو المجنون» فيلم يركز فيه جون جودار أوضح ملامح الموجة الجديدة.



«الصينية» واحد من أفلام الموجة الجديدة الذي أثار زوبعة من النقد لطرافة أسلوبه ومضمونه السياسي والاجتماعي.. من إخراج «جون لوك جودار».

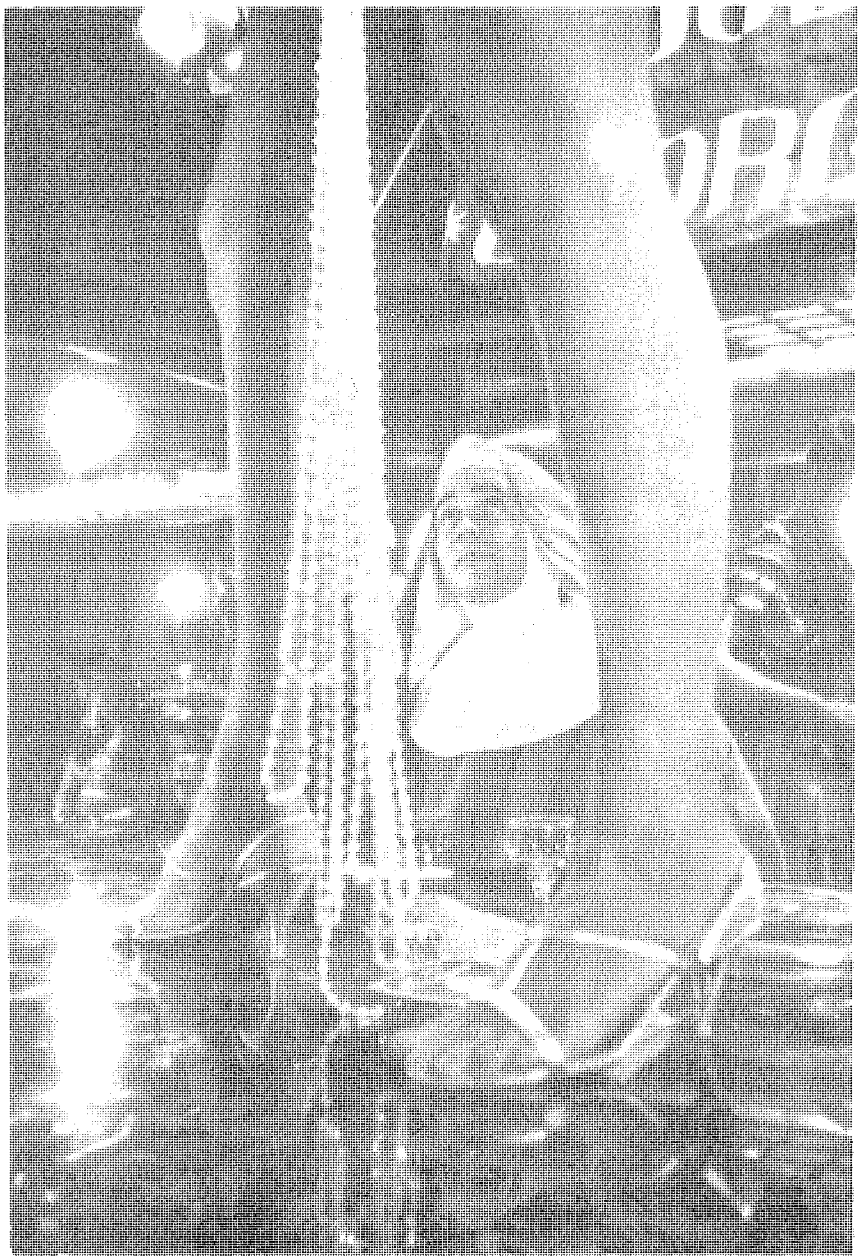
خطوات ويمد يده إلى الفراغ.. ويلقي بالوهم إليهم.. كرته الضائعة.. كالجريمة التي حيرته.. كالجثة التي لا وجود لها.. كالحقيقة التي لا يمكن الامساك بها.. لأنها تختفي وسط الجنس والضياع والجريمة..»

وأسأل أنطونيوني.. المخرج الإيطالي.. العجوز العبقري..

ـ كيف استطعت أن تجد هذا الموضوع العصري.

ـ لقد التقطت الموضوع من قصة بطلها مصور فوتوغرافي مصاب بالشذوذ.. وحورتها لتستوعب ظاهرة اجتماعية عريضة هذه الأيام..».

ويحكي أنطونيوني كيف أمضى عاماً في متابعة السيناريو.. واختيار الأماكن.. وتلوين بعض البيوت التي تطل في المشاهد الخارجية باللون الأحمر لتصبح ذات دلالة «درامية» تتناسب مع معنى المشاهد نفسها.!



السينما المعاصرة في جرأتها لا تتعرض للجنس فقط وإنما تناقش الدين والجنس والشيطان!

إن أنطونيوني نال الجائزة الأولى. . لإخراجه فيلماً ممتازاً. . ولكنه نالها أيضاً لأنه استطاع أن «يخرج» إلى الوجود السؤال الذي يدور في الأعماق. . ويرسم الجو «الحقيقي» لحياة العصر بما فيها من حيرة وقلق.

ـ أستطيع أن أتحدث عن معنى كل مشهد. . ولكن هذا مالا أحبه. . أنا أريد المتفرج أن يستخلص لنفسه ما يريده في الموضوع.

والمتفرج لا بد بالفعل أن يستخلص أشياء عديدة أولها ـ أن المخرج الإيطالي العجوز. . والمتزوج من شابة من أجمل جميلات الشاشة الإيطالية. . هي «مونيكافيتي» الشقراء التي جاءت إلى المهرجان، تسرق الأضواء وتقبل زوجها مهنئة ثم تختفي على متن أول طائرة لتكمل تصوير فيلمها ـ.

هذا الأنطونيوني المثقف الفنان الفيلسوف. . رغم تعلقه بالشباب، ومحاولته العميقة لفهمه. . خرج بعد بحثه أكثر حيرة. . حقاً لقد وضع جنباً إلى جنب عناصر المشكلة ومزجها في براعة مدهشة، فيلتقي الحب بالجنس. ويسلم الجنس إلى الجريمة. . وتتعلق الجريمة بالوجود والعدم. . ويتوه الشباب في كل هذا المزيج، ويتخبط باحثاً عن طريق فيجد نفسه في متاهة طرقات. . »

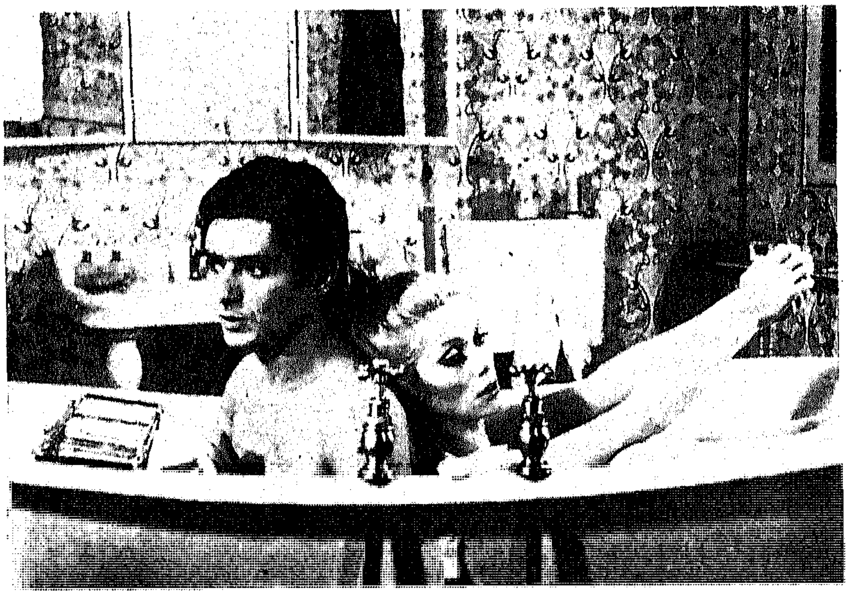
وإذا كان أنطونيوني قد لمس المشكلة في عمق الفيلسوف ونظرته النفاذة. . فعشرات غيره أحاطوا المشكلة بجو من الإثارة والتهويل يجعل الإنسان يعتقد أن عنصر الغابة يعود أكثر ضراوة وبشاعة. .

ومن هذه الأفلام Born Loosers أو «الشباب الضائع».

من إنتاج إمرأة جريئة إسمها Delores Taylor وتمثيل Tom Laughlin زوجها. .

وجرأة الفيلم أنه أمريكي، يدين أخلاقيات شبان اليوم ويحكي قصة مستوحاة من حادثة واقعية لمجموعة من الشبان والشابات المنحرفين، استطاعوا أن يثيروا الرعب والخوف في بلدة متحدين البوليس والناس، وعندما شاهدت

الفيلم في باريس كان يعرض للأسبوع العاشر في إحدى دور العرض بسان جرمان. . وكان يثير حوله جدلاً كبيراً. . وإذا كان هدف «أنطونيوني» من فيلم إنفجار هو الشجاعة في طرح السؤال. . وإذا كانت مخرجة فيلم Born Loosers تتحدى مجتمعها. . فهناك مجموعة هائلة من أفلام الشباب والجريمة والجنس. . صنعت لهدف آخر. . هو «الشباك» وأعني شبك التذاكر. . صحيح أن الدعاية في كل مرة تغلف المسألة بالحديث عن «الصراحة» و «الجرأة» و «الواقعية». . بل صحيح أن هذه الأفلام معظمها يعرض في دور سينما خاصة وبعضوية خاصة. . لكنها لا تخرج عن كونها أفلاماً صنعت بأرخص الوسائل، لتحقيق أكبر الإيرادات عن طريق الإثارة. . وخلع قلب المتفرج رعباً. . أو خوفاً. . وأسوأ ما تصنعه هذه الأفلام هي ربط «الجنس» «بالجريمة» في عقل الشباب. .



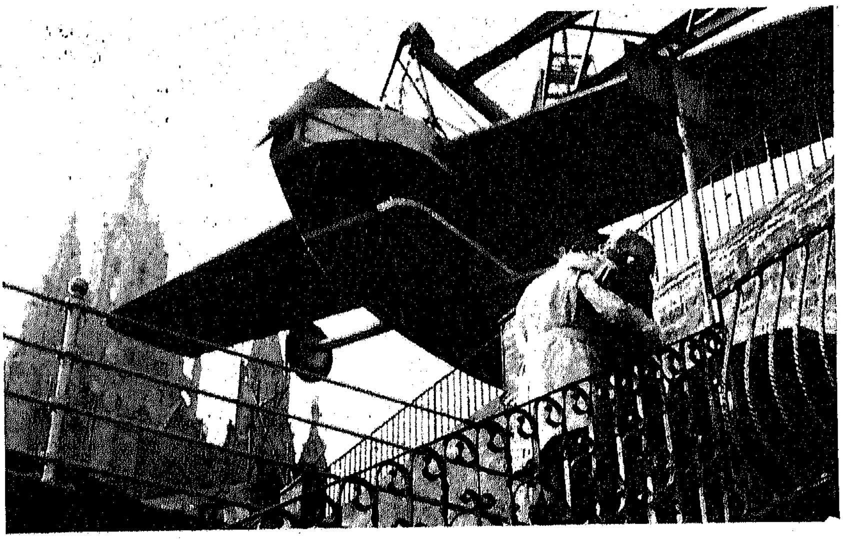
في مانون ٧٠ ـ تبحث السينما الجديدة عن ديكور طبيعي أكثر من اللازم لمشاهد الحب!



قلب السينما خفق في السنوات الأخيرة للأجسام النسائية الجميلة.

رواية بطلها شاب منحرف.. لا تتحقق سعادته إلا بالاعتداء على الشابات وقتلهن. . وتفاصيل متابعة الضحية والتأثير عليها، ثم قتلها تصور في أسهاب وتطويل وهذا ما يتيحه «العرض» في دور العرض ذات العضوية التي تفلت من قبضة الرقابة.

* وفيلم آخر.. بطله أيضاً يهوى قتل النساء.. ويزور أحقر الأماكن.. ويتسلل من خلف الأبواب والنوافذ وينفعل، وتزوغ نظراته، ويلهث عندما يشاهد، إثنين يتبادلان الحب.. فيجن جنونه.. ويقتل الضحية ليسلبها إحساسها بالسعادة.. والسبب يقوله الفيلم للبحث عن مبرر لما يعرضه من مشاهد تثير الضيق والتقزز.. فالبطل تركته أمه وهو طفل لتخرج وتعانق عشيقها..



«مجهول من شانديجور» أو محاولة السينما المعاصرة لخلق الحب في جو من الإبهار.



نفوس قلقة.

* وفيلم ثالث من اليابان.. بطله شاب مصاب أيضاً بنفس هذه الهواية للقتل والتعطش إلى الدم الممزوج بالجنس.. والشاب يعمل خادماً في بيت مملوء بالفتيات.. وهو حريص على متابعة مشاهد الحب التي تجري من خلف الأبواب ثم ينتقم للفتيات ويقتل كل رجل على علاقة بأي واحدة منهن..

* وفيلم رابع.. ساذج جداً في فكرته، يعتمد على تأثيره في تصوير دقيق لشاب يتابع فتاة حتى يستطيع أن ينفرد بها. وأيضاً لا بد من عمليات القتل؟

والقتل ليس عملية خاصة بأبطال الأفلام من الشبان.. فهناك أكثر من خمسة أفلام شاهدتها بطلاتها مصابات أيضاً بهذا الشذوذ العجيب...

والمقصود، هو أولاً وأخيراً ـ بيع الخوف والجنس.. إلى رواد السينما.. وهي ليست أفلاماً بقدر ما هي تجارة رخيصة وامتهان للمتفرج.

وبالطبع هذه النوادي تتوارى خجلاً أمام نوادي ««السينماتيك» التي تفتح أبواب النور على الفن السينمائي الصميم، وتفتح قلبها «للشباب» تفيده وتعرفه بالفن الأصيل.. وعندما نعرض ما يخص الشبان، تعرض أصدق وأجمل ما صنع قديماً وحديثاً عنه.. ومن حسن الحظ.. أن هذه النوادي تتيح للمتفرج أن يلتقي بأفلام (أنجمار برجمان) المخرج السويدي الشهير.. وهي أفلام قد تكون فيها أزمة.. وجنس.. وقد تمس الشباب مثل معظم أفلامه.. بل قد تحتوي على جريمة.. ولكن الفن الذي تصنع منه، يجعل منها تحفة تصل إلى الوجدان. الفني.. في فيلمه «السيرك» «نلتقي» «بشابة تستسلم لإغراء رجل.. تخون زوجها العجوز مع صاحب السيرك لتتيح لزوجها فرصة العمل.. وفي الفيلم يصفعنا المخرج بمعركة عنيفة بين مدرب الوحوش والزوج.. وينتصر مدرب الوحوش «الشاب» المفتون المملوء العضلات..

وفي النهاية.. يغادر الزوج بقافلته المدينة.. مطعوناً في كرامته ذليلاً.. وتتجمع المرارة في حلق المتفرج.. وهو يتساءل هل يمكن للظلم أن ينتصر



«بيتر فوندا» الذي ركب موتوسيكله ومعه كاميرا سينما.

في «الساموراي» يلعب لآن دولان واحد من الأدوار التي تمتزج فيها السينما بالإثارة البوليسية.

هكذا؟ وفي لقطة عامة بارعة. . نرى الزوجة مع ختام الفيلم تسرع إلى زوجها لتلحق به. . ولا نسمع حواراً. . ولا نرى أيـدي تتعانق. . ولا دمـو عاً تنحـدر على الخد. . وإنما نتوه في صمت كبير. . نستمع فيه إلى ضـربات قلوبنـا. . ونخرج من ظلام صالة العرض، إلى أضواء الحياة الكبيرة. . ولا زالت بصمات الفيلم عالقة بنفوسنا. . وهكذا الفن العظيم. . يظل حياً ـ بل تزداد حياته ـ ويثمر وجوده داخلنا. .».

ومن الواضح. . أن «الشبـاب» هو أصلح من يعبـر عن نفسه فهـو القادر على فهم ما يشغله. . والقادر على إدراك أسباب إنحرافه ـ لأنه يعيشها ـ

إن «مقـدرة دافيـد همنجـز» بـطل إنفجـار، كـانت أكثـر من تـوجيهـات المخرج. . كانت من معايشة حقيقية للحياة التي مثلها. .

ومخـرج الموجـة الجديـدة «جون لـوك جودار» عنـدما قـدم «جون بـول بلموندو» في «المجنون». . وقدم مزيجاً مثيراً من حيويـة الشباب، وانـدفاعـه، وجنونه. . كان يترجم ما يراه. . إنه يفهم سلوك الشبان لأنه واحد منهم. . تماماً مثـل «كلود لولـوش» الذي كـان يقفز أمـامي في شوارع «كـان» موفـور النشاط والحيوية وعلى يمينه شابة شقراء. . وعندما أسأله عن فيلمه «رجل وإمـرأة». . يبتسم كأنه لا يصدق أنـــه نـال الجـائزة الأولى. . ويحكي عن أجمـل مشاهـد الفيلم في نـظره. . مشهد الحب. . العنـاق الطويـل. . المملوء بـالأزمـات. . وتأنيب الضمير والقبلة «المركبة المعاني» بين أرملة شابـة لا زال في قلبها حب زوج مات. . وأرمل يريد أن يعيش، بكل ما في قلبه من نبض وحرمان. .

لقد صور «لولوش» القبلة بنفسه فهو حريص أن يصور إحساسه وخلجات فكره بعين الكاميرا. . ويترمجها في مشاهدة صادرة من القلب.

ولا عجب أن يختاروه ـ وهو لم يـدرك الثلاثين ـ ليجلس إلى جـوار أقدم محكمي مهرجان كان وأعظمهم. . والأمل كله يتركز حول هذه الوجوه الجديدة



«كلود لولوش» مخرج فرنسا الذي فاز في كان عن فيلمه رجل وامرأة.. الذي ناقش فيه علاقة الرجل بالمرأة.. يحقق نفس النجاح في فيلمه «الحياة للحياة».

«كاترين دينيف» وجه فرنسي لامع في أفلام الموجة الجديدة.

من المخرجين. . والفن السابع في أوروبا. . هو أيضاً. . عجوز في تقاليده رغم سنه البكر. . والقلب الجديد في جسد أوروبا قد حطم هـذه التقاليـد. . وفجر الدماء الجـديدة في شـرايين العمل السينمـائي. . وأصبح نبض القلب يخـرج مباشرة بلا رقابة إلى شاشة العرض يطوق المتفرج بشدة ويجذبه إلى صور حية جريئة كأنها صادرة منه. . مـأخوذة من حيـاته. . مستمـدة من داخل قلبه. لقد أعطت «كان» جائزة ١٩٦٩ لتجربة قام بها مخرج جديد وشاب هو «بيتر فوندا» الذي ركب موتوسيكله ومعه كاميرا سينما يصور الأحداث الحقيقية التي يعيشها بلا سيناريو سابق. . ويقول في حماس أنه يخلق «سينمـا ذاتية» تنبض بـالواقـع. . والحماس لجوائز ٧٠ والأعوام القادمة يدفع الشباب لمزيد من التجارب ومزيد من الحماس.

قلب المستقبل

جسد أوروبا يمر من مرحلة حرجة جداً . . أنه يعبر قنطرة ضيقة من الماضي إلى المستقبل . . بينما الحاضر تحت قدميه بحار متلاطمة . .

والقلب الشاب الذي احتل الجسد العجوز، يندفع به إلى سباق لاهث مع الزمن، ولا يدرك أنه قد لا يستطيع أن يستجيب دائماً لمتطلباته. ولعله لا يدرك أنه قد يستهلك نفسه . . وبالتالي يحتاج الجسد العجوز إلى قلب جديد.

إن إندفاع القلب الشاب هو الذي غرس في قلب الشباب رفضه للقديم . . حتى قبل أن تتبلور عنده المقدرة على اكتشاف البديل.

إن النبض الجديد، يستطيع أن يحقق المعجزات لصاحبه . . ولكنه أيضاً يستطيع أن يسقطه في دروب الهلاك . .

أما المعجزات فمن الممكن لمسها في البراعم التي تفتحت وسط شباب أوروبا تثمر فناً جديداً . . من القوالب القديمة التي حطمتها.

في الشعر كسرت الأوزان وتحررت الأبيات من القافية وانطلقت فيما يشبه تداعي المعاني والكلمات . .

وإذا كان المظهر الأول هو معاداة القديم فإن الخطوة التالية هي التمهيد لمولد تعبيري لم يوجد من قبل.

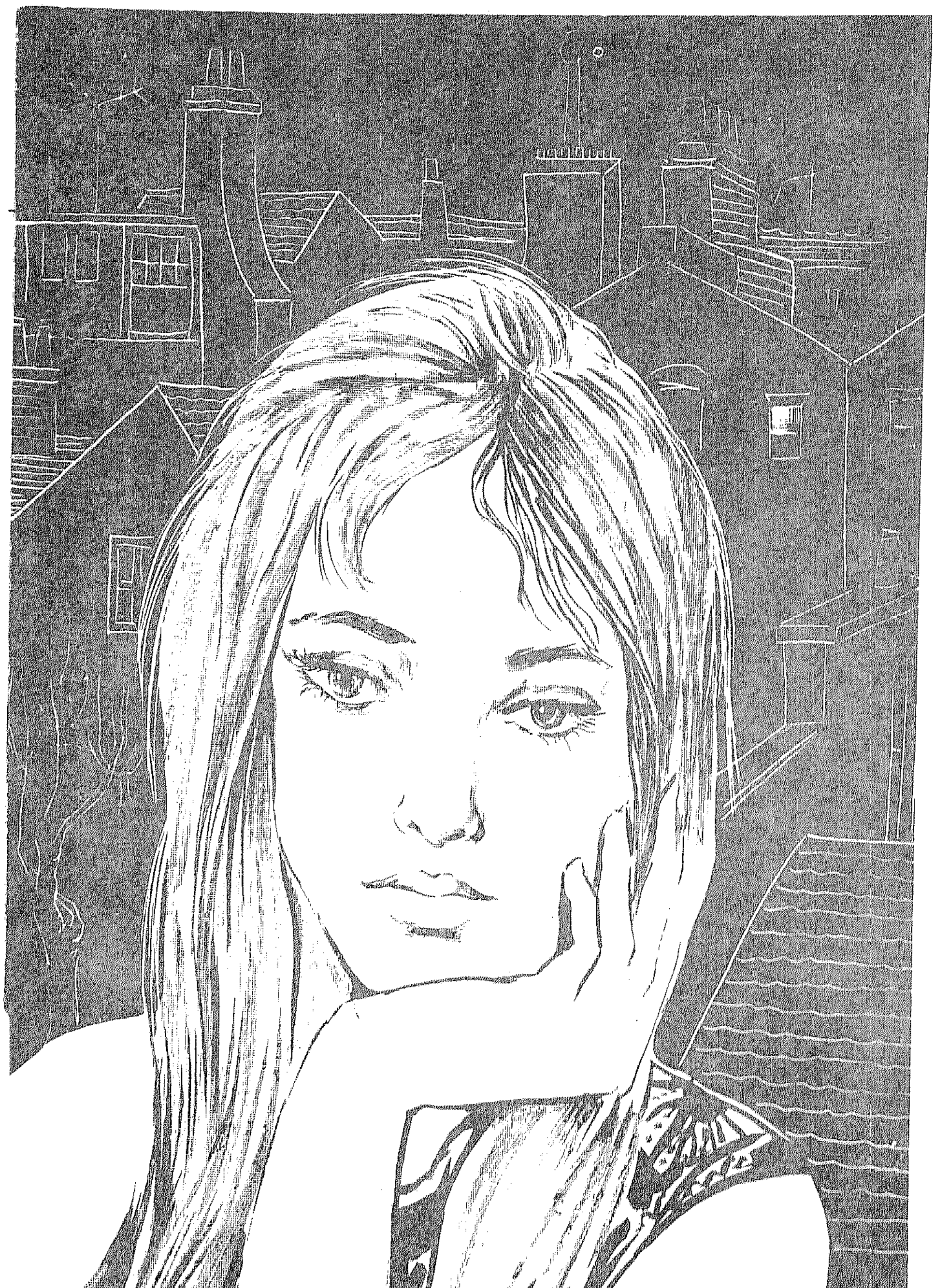
وفي مجال القصة القصيرة.. ولد القلم الذي يكتب بدون الجري وراء حلاوة كلمة تخضع لها المعنى وتأسره وبدون الرضوخ إلى «التركيب» المدروس لها.. فينطلق ليعبر عن موقف واحد.. أو ليردد «مونولوجاً» داخلياً.. أو يجري مع الخيال إلى المستقبل يلغي الزمن.. ويصعد إلى ما زراء الطبيعة أو يهبط داخل النفس البشرية.

وفي الفن التشكيلي ارتوى المئات من نبع القلب الشاب.. فارتفعوا بالخيال إلى عوالم جديدة من الفن.. واستطاعوا أن يرسموا بالضوء والنور بل استطاعوا أن يحققوا «حركة» اللوحة.. معجزة اللوحة التشكيلية.. ذات الألف وجه المتجددة دائماً.. واستفادوا من التطور العلمي والكهربائي في صناعة «الفن» الجديد الذي يستمد وجوده من خصائص الوجود العلمي في القرن العشرين.. مثل لوحات الشرائح المعدنية والزجاجية التي تتحرك أمام عدسات تطلق كشافات تنعكس منها وخلالها إلى شاشات عرض وتصنع في الدقيقة الواحدة عشرات الأشكال الخلاقة تبهر كل يوم زوار متحفي الفن الحديث في لندن وباريس.

ومن هذا الفن، اتجهت صناعة الديكورات الحديثة، تلون حائط الحجرة بالضوء والشكل المتحرك، بدلاً من مساحة الجير الصماء.. ووراء هذا الفكر الفني الجديد.. شباب فني جديد..

وهذا الشباب الفني عندما دخل مجال الصحافة.. لم تعجبه أساليبها المتوارثة في العرض.. ولم يعجبه أيضاً ما تقدمه.. فاخترع لنفسه المجلات التي تحمل فكرة، وطابعه، ومن أشهر هذه المجلات Oz It إنها تعتمد على أبسط وسائل التنفيذ.. وأغرب وأجدد المواد، تكتبها أفلام جديدة.. وتزينها رسوم حديثة.. وتنقل أجرأ وأحدث وأغرب ما يفكر فيه عالم اليوم.

أما المجلات الساخرة مثل Monck.. فهي أيضاً تتحدى المألوف وتتجاوزه تستمد مادة سخريتها من الهجوم على القوالب القديمة بقسوة..



أي مستقبل ينتظر فتاة أوروبا؟!

وعلى السخرية الحادة بكل ما يتعارض مع «شباب» فكرها.

وفي السينما.. هو القلب الشاب الذي ألغى القوالب الميلودرامية القديمة وألغى الزمن، واخترع الموجة الجديدة.. بما قدمته من صور سينمائية قريبة من اللوحة التعبيرية.. يتحول فيها المشهد السينمائي إلى قيمة جمالية، وفهم تشكيلي للمساحة والخط واللون.. وعلاقة الكتلة بالفراغ..

إن الفن والفكر المعاصر.. يدين للقلب الجديد.. بالدماء بالحرارة التي هزت كيان العالم كله.

والقلب الشاب يستطيع أن يصنع الكثير لأنه لا يملك العمارات.. ورصيد البنك.. ولا السيارة آخر طراز.. الأشياء التي أفنى جسد أوروبا العجوز عمره ليمتلكها.. وفي الواقع هي التي تملكه.. إن القلب الشاب ينطلق من نقطة الصغر.. وهي نقطة تعطيه مرونة أكثر وإندفاعاً بلا حدود.. حررته من القوالب الجامدة.. والتقليد.. ولكنها في نفس الوقت أبعدته عن الأسرة والدين.. ليتردي في ظلمات وحدة مريرة ضائعاً بلا حماية.

ـ إن العشاء لا طعم له بدون أسرة تجتمع حول مائدة واحدة!

جملة قالها «أندريه فانوا» وهو ليس فيلسوفاً.. وليس واحداً من رجال الدين.. وإنما رجل طيب يعيش في «أونساك» بالريف الفرنسي.. كافح.. وعاش يطعم أولاده من عرق جبينه من خلال عمل متواضع في مصنع ألبان.. ربى سبعة أولاد.. اشتركت معهم ذات مساء في طعام العشاء.. وأحسست أن لا سعادة في الحياة، تعادل سعادة هذا الرجل الطيب وأسرته تجتمع حوله..

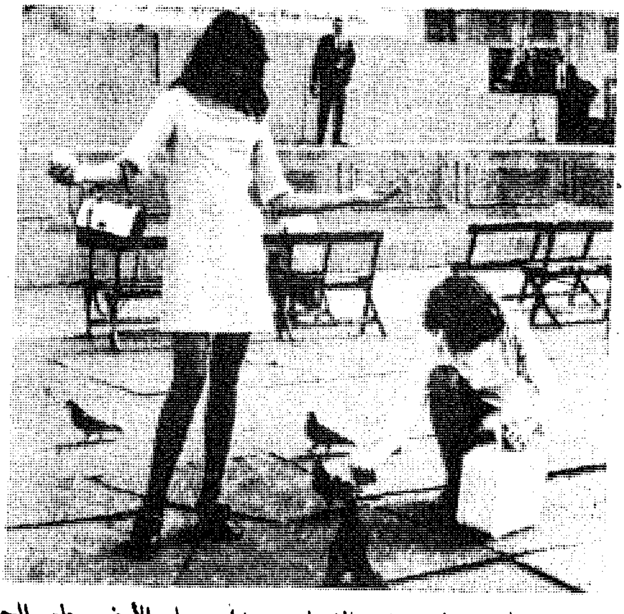
والوعاظ الذين يمتلىء بهم ميدان «ترافلجار» يتضرعون إلى الناس في الميكرفونات ليسمعوا كلمة الرب، ويقدسوا روابط الأسرة.. والبر بالوالدين.. ولكن القلب الشاب يتغابى عن صوت الواعظ العجوز.. ويتشاغل بإطعام الحمام.. والجري وراء الحب!





«بيتر واتكنز» في فيلمه «بريفيليج» يقدم وجهة نظر في المستقبل خلال بطله المغني الخنفس الذي يرفض الدعاية.. وهنا نلمح في نظرة البطلة إحساسها بالقلق على مستقبله..

وفي فرنسا فتحت الكنيسة أبوابها بعد الظهر لتقيم الصلوات يوم الأحد.. حتى لا تحرم القلب الشقي من نزهة الصباح وجعلوا القداس باللغة الفرنسسية بدلاً من اللاتينية ليسهل فهمه.. ولكن القلب الشقي ظل متشاغلاً.. حتى عندما جاء رجل اليوجا الهندي «ماهاراجي» إلى لندن واتهم المدنية الحديثة بأنها تباعد المسافة بين قلب الإنسان العصري والله.. لم يلتفت إليه أحد.. ولكن سرعان ما تبدل الموقف تماماً وأصبح «ماهاراجي» زعيماً روحياً للقلب الشاب. والسبب.. أن مجموعة من نجوم البوب الـ Pop اتجهوا إليه في إعجاب.. وكبروا صوره وطبعوها ووزعوها في كل مكان.. ونشروا أفكاره.. وتحول ماهاراجي إلى «موضة» دينية.. تدل بوضوح أن قلب أوروبا الجديد في حاجة إلى وجود «الله» ولكن الضيق التقليدي تجاه كل تعاليم الجسد العجوز.. هو الذي جعله يعطي ظهره لوعاظ الكنائس وميدان ترافلجار ويلقي بنفسه بين ذراعي ماهاراجي!.



الواعظ يتحدث عن الله.. والدين.. والشباب بعيداً.. على الأرض يطعم الحمام ولا يستمع للحديث الذي يتكرر..

عرض الجمال تحتله اليوم جميلات في عمر الزهر!



إن قلب أوروبا.. رسم لنفسه طريقه الطويل حمل جسده العجوز إليه.. ولم يجد في النهاية وسيلة عندما لهث الجسد الذي لم يتعود هزات الجديد.. وفوران العاطفة، إلا بالانـطلاق وحده.. بـلا تردد.. حـرق كل الخيـوط التي تربطه بالجسد المنهك.. المتعب!

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه على أبواب المستقبل هو:



هل هو ضياع.. أم حنان متدفق؟

ـ هلى يستطيع هذا القلب الشاب أن ينطلق وحده بشبابه وغروره وحيوته إلى المستقبل؟.. أم يصيبه الأعياء.. ويتسلل إليه الإرهاق في منتصف الطريق.. ويموت في آخر لحظات الحاضر.. ويترك الجسد العجوز يشد قواه ليخطو في طريق المستقبل لقلب آخر تستطيع خلاياه «الالكترونية» أن تحلق به إلى الفضاء وتصعد به القمر!. وتغزو به الكواكب.. وترفعه إلى ضمير المستقبل؟



مجلة من مجلات المستقبل تحمل الشباب وخيالهم إلى كواكب مجهولة مع أحاسيس جديدة ومشاعر جديدة.



لمحات من النقد اللاذع للاستعمار البريطاني بريشة فناني بريطانيا من الشباب.



«السعادة» فيلم «آنيس فاردا» تحاول أن تجد فيه إجابة للسؤال الخالد . .

لقد عاد الصحفي بداخلي من جولته الطويلة حائراً بما جمعه من معلومات. . أفرغ أمامي الكلمات والصور التي التقطتها عدسته لواقع يبدو كالخيال. . وخيال يمشي على أرض الواقع!.

وعاد الرسام بأعماقي يقدم لي بالخط واللون رعشات الملامح الشابة. . وبصمات التجربة على جسد أوروبا المنهك. . وقال لي في النهاية هامساً: ـ

ـ أراه قلباً فريداً يحتاج إلى دراسة

وقلت: ـ

ـ دعني أنا أكتب كلمة «النهاية»

وقال وهو ينحني على الوقر. .

ـ أن كلمة النهاية هنا لن تنفع. .

وكتب على الصفحة الأخيرة. . علامة استفهام كبيرة. . تلتصق بها علامة تعجب حائرة ونقط عديدة تبحث عن حروف؟!. . . .







مكتبة مدبولي
القاهرة